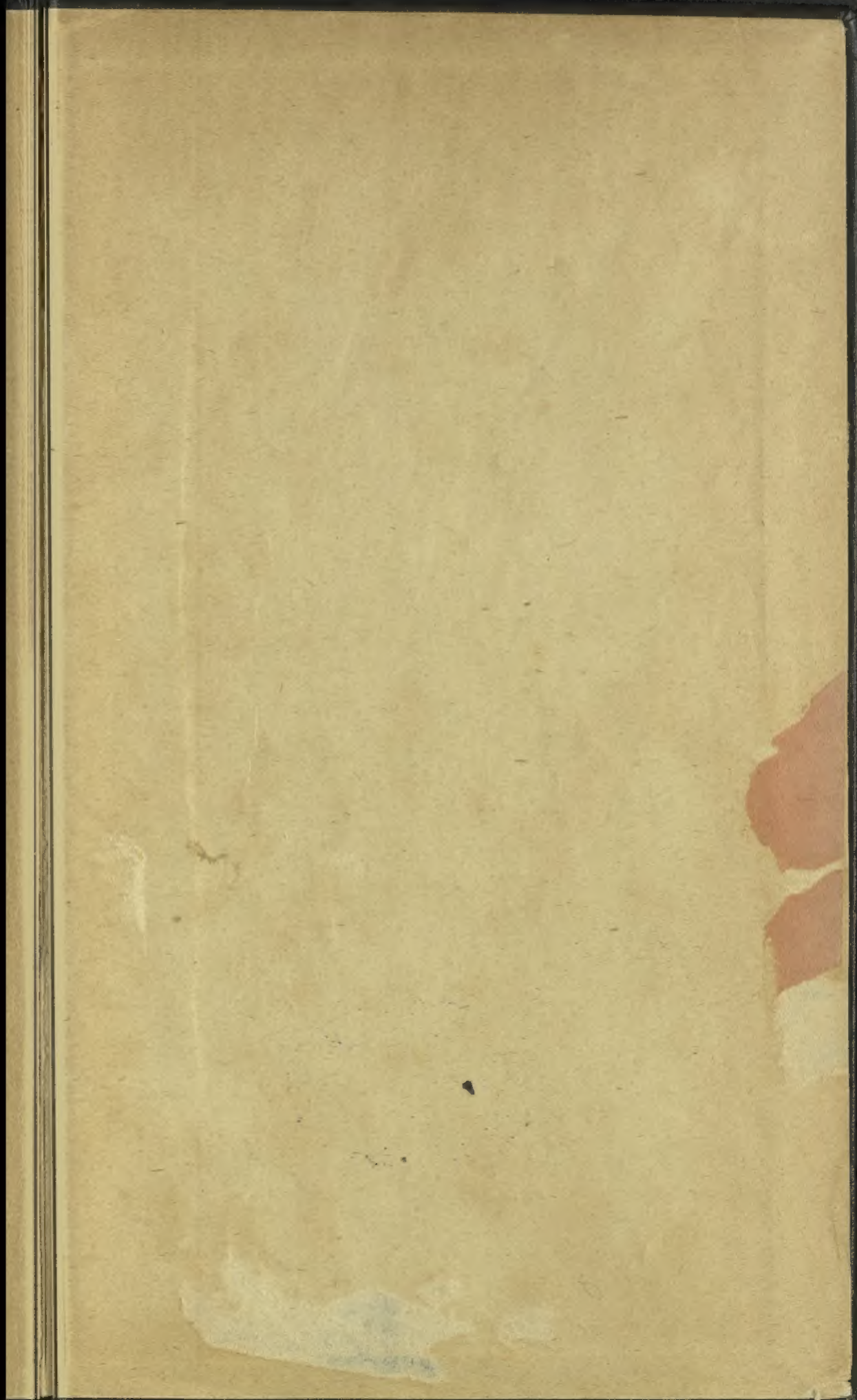
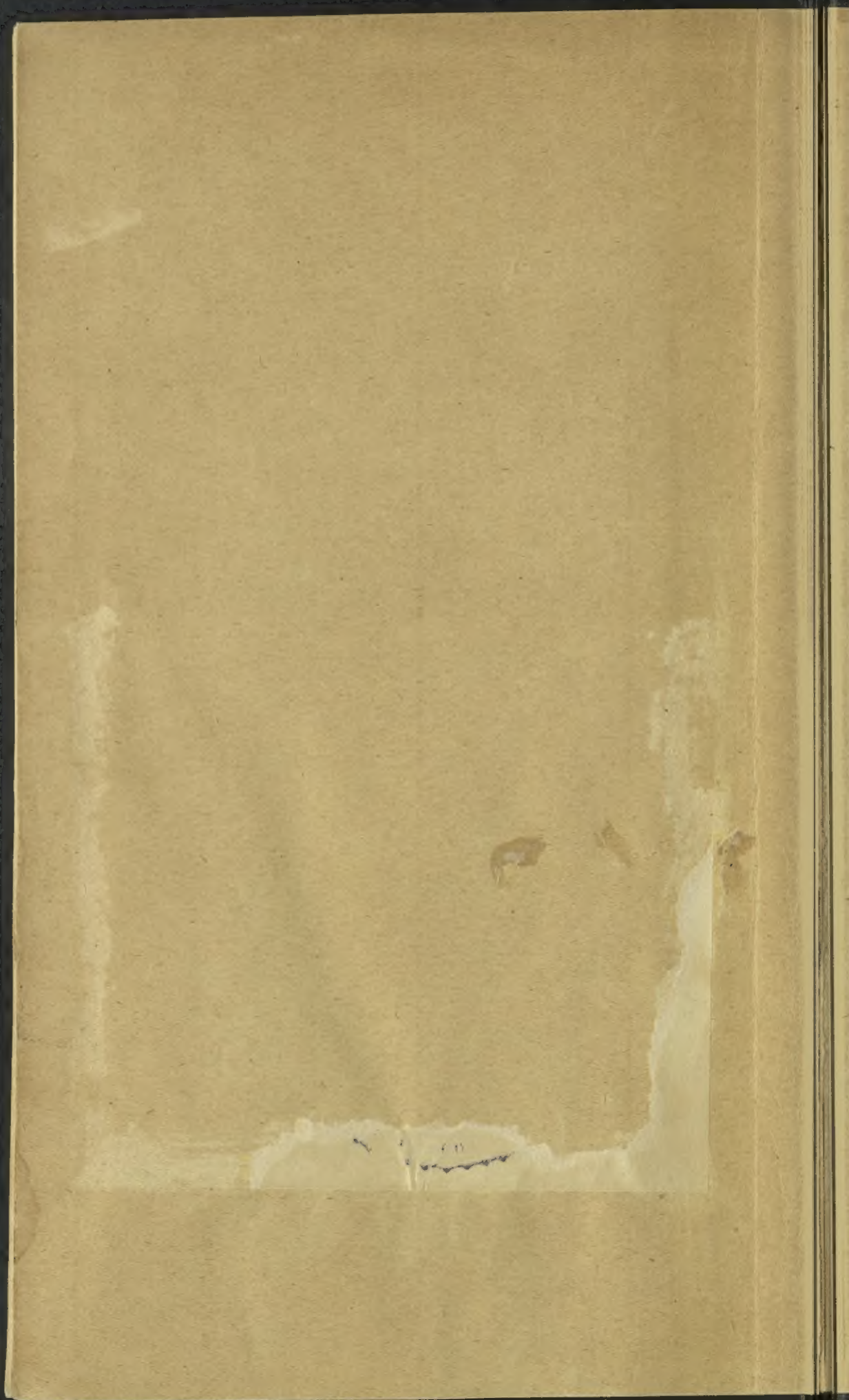


حقیقۃ مذہب الاتحادیہ





100-25

100-25

100-25

100-25

100-25

100-25

100-25

100-25

100-25

100-25

100-25

100-25

AS.

V. 4 - 55

مجمعة رسائل

CA
212
IIBRA
V. 4
C. 1

حقيقة مذهب الاتحاديين

أو وحدة الوجود

وبيان بطلانه بالبراهين العقلية والعقلية

من رسائل

شيخ الإسلام ابن تيمية

قدس سره

الجزء الرابع

أشرف على تصحيحه وعلق عليه حواشيه

السيد محمد رشيد رضا

مكتبة المصنف

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٩

مطبعة المبتكر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(رسالة شيخ الاسلام الى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديين
أبي القائلين بوحدة الوجود)

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * وأشهد أن لا إله إلا
الله الواحد الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين صلوات الله وسلامه تسليماً
كثيراً وعلى سائر اخوانه المرسلين

(أما بعد) فقد وصل كتابك تلتمس فيه بيان حقيقة مذهب هؤلاء الاتحادية
وبيان بطلانه، وإنك كنت قد سمعت مني بعض البيان لفساد قلوبهم، وضاق الوقت
بك عن استتمام بقية البيان، وأعجزك السفر، حتى رأيت عندكم بعض من ينصر
قولهم ممن ينتسب الى الطريقة والحقيقة، وصادف مني كتابك موقعا، ووجد محلا
قابلا، وقد كتبت اليك بما ارجو من الله أن ينفع به المؤمنين، ويدفع به بأس
هؤلاء الملاحدة المنافقين، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته المخلوقات والمنزلات
في كتابه المبين، ويبين الفرق بين ما عليه أهل التحقيق واليقين، من أهل العلم
والمعرفة المهتدين، وبين ما عليه هؤلاء الزنادقة المذتهبين بالعارفين، كما تشبهه بالانبياء
من تشبهه من المتنئين، وكما شبهوا بكلام الله ما شبهوه به من الشعر المفتعل وأحاديث
المفترين، لتبين أن هؤلاء من جنس الكفار المنافقين المرتدين، اتباع فرعون
والقرامطة الباطنيين، وأصحاب مسيامة والعنسي ونحوهما من المفترين، وإن أهل
العلم والايمان من الصديقين والشهداء والصالحين، سواء كانوا من المقربين السابقين
أو من المقتصدین اصحاب اليمين، هم من اتباع ابراهيم الخليل وموسى الكليم،
ومحمد المبعوث الى الناس اجمعين. وقد فرق الله في كتابه المبين الذي جعله حاكما
بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والمؤمنين
والكافرين، وقال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين
آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون؟) وقال (أم نجعل

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ؟
وقال (افنجعل المسلمين كالحجر مين ما لكم كيف تحكمون ؟)

وقد بين حال من تشبه بالانبياء وباهل العلم والايمان من اهل الكذب
والفجور الملبوس عليهم اللابسين. وأخبر ان لهم تنزلاً ووحياً ولكن من الشياطين،
فقال تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم
لمشركون) وقال تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك
اثيم) وأخبر ان كل من ارتد عن دين الله فلا بد ان يأتي الله بدله بمن يقيم دينه المبين،
فقال (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

وذلك ان مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام وينظمونه من الشعر بين
حديث مفترى وشعر مقتول . واليهما اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما
قال له عمر بن الخطاب في بعض ما يخاطبه به : يا خليفة رسول الله تألف الناس . فأخذ
باحيته وقال : يا ابن الخطاب ، أجباراً في الجاهلية خواراً في الاسلام ؟ علام تألفهم ؟
أعلى حديث مفترى ؟ ام شعر مقتول ؟ يقول : اني لست أدعوهم إلى حديث مفترى
كقراآن مسيلة ، ولا شعر مقتول كشعر طليحة الاسدي .

وهذان النوعان هما اللذان يعارض بهما القرآن اهل الفجور والافك المبين ،
قال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم) الى آخر
الآية . وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين) الآيات إلى
قوله (وما تنزلت به الشياطين) الى آخر السورة . فذكر في هذه السورة علامة السكهان
الكاذبين ، والشعراء الغاوين ، ونزّهه عن هذين الصنفين كما في سورة الحاقة . وقال تعالى
(انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين) الى آخر السورة . فالرسول
هنا جبريل . وفي الآية الاولى محمد ﷺ . ولهذا نزّه محمداً هناك ان يكون شاعراً
او كاهناً ونزّه هنا الرسول اليه ان يكون من الشياطين .

فصل

اعلم- هداك الله وأرشدك- ان تصور مذهب هؤلاء كافي في بيان فسادهم ولا يحتاج مع حسن التصور الى دليل آخر ، وانما تقع الشبهة لان أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم ، لما فيه من الالفاظ المجملة والمشتركة ، بل وهم أيضا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ، ولهذا يتناقضون كثيرا في قولهم ، وانما يتخيّلون شيئا ويقولونه او يتبعونه ، ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق ، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم ، مع استشعارهم انهم مفرقون ، ولهذا لما بينت لطوائف من اتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم ، وسر مذهبهم ، صاروا يعظمون ذلك ، ولولا ما اقرنه بذلك من الذم والرد لجعلوني من أئمتهم ، وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يحل عن الوصف ، كما تبذله النصارى لرؤسائهم ، والاسماعيلية لكبرائهم ، وكما بذل آل فرعون لفرعون ،

وكل من يقبل قول هؤلاء فهو أحد رجاين اما جاهل بحقيقة امرهم ، وإما ظالم يريد علوا في الارض وفسادا ، او جامع بين الوصفين. وهذه حال اتباع فرعون الذين قال الله فيهم (فاستخف قومه فأطاعوه) وحال ائمة مع رؤسائهم ، وحال الكفار والمنافقين في أئمتهم الذين يدعون إلى النار ويوم القیامة لا ينصرون (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) الى آخر الآية وقوله (والعنهم لعنا كبيرا) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا - إلى قوله - وما هم بخارجين من النار)

فصل

اعلم ان حقيقة قول هؤلاء ان وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البته ، ولهذا من سماهم حلولية أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوبا عن معرفة قولهم خارجا عن الدخول الى باطن امرهم ، لأن من قال ان الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال ، وهذا ثنية عندهم واثبات لموجودين (احدهما) وجود الحق الحال (والثاني) وجود المخلوق المحل

وهم لا يقرون باثبات وجودين ألبتة . ولا ريب ان هذا القول اقل كفوراً من قولهم ، وهو قول كثير من الجهمية الذين كانت السلف يردون قولهم ، وهم الذين يزعمون ان الله بذاته في كل مكان . وقد ذكره جماعات من الأئمة والسلف عن الجهمية وكفروهم به ، بل جعلهم خالق من الأئمة - كابن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من اهل العلم والحديث من اصحاب احمد وغيره - خارجين بذلك عن الثنتين والسبعين فرقة . وهو قول بعض متكلمي الجهمية وكثير من متعبديهم . ولا ريب ان إلحاد هؤلاء المتأخرين وتجهمهم وزندقتهم تفريع وتكميل لإلحاد هذه الجهمية الاولى وتجهمها وزندقتهما

وأما وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان (احدهما) لا يرضونه لان الاتحاد على وزن الاقتران والاقتران يقتضي شيئين اتحد احدهما بالآخر وهم لا يقرون بوجودين أبداً (والطريق الثاني) صحة ذلك بناء على ان الكثرة صارت وحدة كما سألينه من اضطرابهم

وهذه الطريقة إما على مذهب ابن عربي فانه يجعل الوجود غير الثبوت ويقول ان وجود الحق قاض على ثبوت الممكنات ، فيصح الاتحاد بين الوجود والثبوت وأما على قول من لا يفرق فيقول ان الكثرة الخيالية صارت وحدة بعد الكشف او الكثرة العينية صارت وحدة اطلاقية

فصل

ولما كان أصلهم الذي بنوا عليه ان وجود المخلوقات والمصنوعات حق وجود الجن والشیاطین والكافرين والفاسقين والكلاب والخنازير والنجاسات والمكفر والفسوق والعصيان عين وجود الرب ، لا انه متميز عنه منفصل عن ذاته ، وان كان مخلوقاً له مربوباً مصنوعاً له قائماً به ، وهم يشهدون ان في الكائنات تفرقا وكثرة ظاهرة بالحس والعقل ، فاحتاجوا الى جمع يزيل الكثرة ، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها ، فاضطربوا على ثلاث مقالات ، انا اينها لك وان كانوا هم لا يبين بعضهم مقالة نفسه ومقالة غيره لعدم كمال شهود الحق وتصوره

المقالة الاولى

﴿ مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم ﴾

وهي مع كونها كفرا فهو اقربهم الى الاسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرا ، ولانه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو كثير الاضطراب فيه ، وانما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل اخرى . والله اعلم بما مات عليه . فان مقالته مبينة على اصلين

الاصل الاول لمذهب ابنه عربي

(احدهما) ان المعدوم شيء ثابت في العدم ، موافقة لمن قال ذلك من المعتزلة والرافضة . واول من ابتدع هذه المقالة في الاسلام ابو عثمان الشحام شيخ ابي علي الجبائي وتبعه عليها طوائف من القدرية المتدعة من المعتزلة والرافضة ، وهؤلاء يقولون ان كل معدوم يمكن وجوده فان حقيقته وماهيته وعينه ثابتة في العدم ، لانه لولا ثبوتها لما تميز المعلوم المخبر عنه من غير المعلوم المخبر عنه ، ولما صح قصد ما يراد ايجاده ، لان القصد يستدعي التمييز ، والتمييز لا يكون الا في شيء ثابت ، لكن هؤلاء وان ابتدعوا هذه المقالة التي هي باطلة في نفسها وقد كفرهم بها طوائف من متكلمي السنة - فهم يعترفون بان الله خلق وجودها ، ولا يقولون ان عين وجودها عين وجود الحق . واما صاحب الفصوص واتباعه فيقولون : عين وجودها عين وجود الحق ، فهي متميزة بذواتها الثابتة في العدم متحدة بوجود الحق العالم بها . وعامة كلامه ينبني على هذا لمن تدبره وفهمه

وهؤلاء القائلون بان المعدوم شيء ثابت في العدم سواء قالوا بان وجودها خلق الله او هو الله ، يقولون ان الماهيات والاعيان غير مجعولة ولا مخلوقة وان وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته ، وقد يقولون الوجود صفة للموجود

وهذا القول وإن كان فيه شبه بقول القائلين بقدم العالم او القائلين بقدم مادة

العالم وهيو لاه المتميزة عن صورته فليس هو اياه، وان كان بينهما قدر مشترك، فان هذه الصورة المحدثه من الحيوان والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء، بل هي كائنه بعدان لم تكن، وكذلك الصفات والاعراض القائمة باجسام السموات والاستحالات القائمة بالاناصر من حركات الكواكب والشمس والقمر والسحاب والمطر والرعد والبرق وغير ذلك، كل هذا حادث غير قديم، عند كل ذي حس سليم، فانه يرى ذلك بعينه. والذين يقولون بان عين المعدوم ثابتة في القدم او بان مادته قديمة يقولون بان اعيان جميع هذه الاشياء ثابتة في القدم، ويقولون ان مواد جميع العالم قديمة دون صورته

واعلم ان المذهب اذا كان باطلا في نفسه لم يمكن الناقده ان ينقله على وجه يتصور تصورا حقيقيا فان هذا لا يكون الا للحق. فلما القول الباطل فاذا بين فيبانه يظهر فساد، حتى يقال كيف اشتبه هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم اياه، ولا ينبغي الانسان ان يعجب، فما من شيء يتخيل من انواع الباطل الا وقد ذهب اليه فريق من الناس. ولهذا وصف الله اهل الباطل بانهم اموات وانهم (معم بهم عمي) وانهم (لا يفقهون* ولا يعقلون) وانهم (في قول مختلف يؤفك عنه من أفك) وانهم (في ريبهم يترددون) وانهم (يعمهمون)

وانما نشأ - والله أعلم - الاشتباه على هؤلاء من حيث رأوا ان الله سبحانه يعلم ما لم يكن قبل كونه - او (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) فرأوا ان المعدوم الذي يخلقه يتميز في علمه وإرادته وقدرته، فظنوا ذلك لتمييز ذات له ثابتة وليس الامر كذلك. وانما هو متميز في علم الله وكتابه، والواحد منا يعلم الموجود والمعدوم الممكن والمعدوم المستحيل، ويعلم ما كان كآدم والانبياء، ويعلم ما يكون كاتقيامة والحساب، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، كما يعلم ما أخبر الله به عن اهل النار (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وانهم (لو علم الله فيهم خيرا لا سمعهم) وانه (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) وانه (لو كان فيهما الهة كما يقولون اذاً الا ابتغوا الى ذي العرش سبيلا) وانهم (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبلا) وانه (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد ابدا)

ونحو ذلك من الجمل الشرطية التي يعلم فيها انتفاء الشرط أو ثبوته .
فهذه الامور التي نعلمها نحن ونتصورها، اما نافين لها أو مثبتين لها في الخارج
أو مترددين - ليس بمجرد تصورنا يكون لا عيانها ثبوت في الخارج عن علمنا وأذهاننا،
كما نتصور جبل ياقوت وبحر زئبق وانسانا من ذهب وفرسا من حجر . فثبوت الشيء
في العلم والتقدير ايس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه
وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلا . وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه
كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « ان الله كتب مقادير
الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة »
وفي سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال « أول ما خلق
الله القلم فقال : اكتب قل : رب وما اكتب ؟ قل ، اكتب ما هو كائن الى يوم
القيامة » وقال ابن عباس « ان الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ، ثم قال لعلمه
« كن كتابا » فكان كتابا ؟ ثم انزل تصديق ذلك في كتابه فقال (ألم تعلم ان الله
يعلم ما في السماء والارض، ان ذلك في كتاب) »

وهذا هو معنى الحديث الذي رواه احمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال :
قلت يا رسول الله متى كنت نبيا ، وفي رواية متى كتبت نبيا ؟ - قال « وآدم بين
الروح والجسد » هكذا لفظ الحديث الصحيح . وما يرويه هؤلاء الجهال
كابن عربي في الفصوص وغيره من جهال العامة « كنت نبيا وآدم بين الماء
والطين » « كنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين » فهذا لا اصل له ولم يروه احد من
أهل العلم الصادقين ، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو
باطل ، فان آدم لم يكن بين الماء والطين قط فان الله خلقه من تراب ، وخلط التراب
بالماء حتى صار طينا وبس الطين حتى صار صلصالا كالفخار ، فلم يكن له حال بين
الماء والطين مركب من الماء والتراب ، ولو قيل بين الماء والتراب لكان أبعد عن
الحال ، مع ان هذه الحال لا اختصاص لها ، وانما قال « بين الروح والجسد » وقال
« وان آدم لمنجدل في طينته » لان آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه كما

قال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر) الآية وقال تعالى (وإذا قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين) الآية وقال تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) الآية وقال تعالى (وإذا قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين) الآية . والاحاديث في خلق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرها

فأخبر عليه السلام انه كان نبياً أي كتب نبياً و آدم بين الروح والجسد . وهذا والله أعلم لان هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بأيدي ملائكة الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب ما يكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه، كما أخرج الشيخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الامهات حديث الصادق المصدوق وهو من الاحاديث المستفيضه التي تلقاها أهل العلم بالقبول وأجمعوا على تصديقها وهو حديث الامام عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن امه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فيؤمر باربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح - وقال - فوالذي نفسي بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » فلما أخبر الصادق المصدوق ان الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد بعد خالق الجسد وقبل نفخ الروح، و آدم هو أبو البشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه ما يكون منه، ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدراً وأرفعهم ذكراً، فأخبر عليه السلام انه كتب نبياً حينئذ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته فانه كون في التقدير الكتابي، ليس كوناً في الوجود العيني، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) الآية . وقال (ألم يجدك يتيماً فآوى)

الآية . وقال (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية . ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرياض بن سارية عن رسول الله ﷺ انه قال «اني عبد الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري: دعوة ابراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت. حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام » هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب

حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض رواه البغوي في شرح السنة هكذا، ورواه الليث بن سعد عنه نحوه، ورواه الامام أحمد في المسند عن ابن مهدي: حدثنا معاوية بن صالح بالاسناد عن العرياض. قال قال رسول الله ﷺ « اني عبد الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي ابراهيم » الحديث. وفيه « كذلك أمهات النبيين يرين » وقوله « لمنجدل في طينته » أي ملتف ومطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد

وقد روي ان الله كتب اسمه على العرش وعلى ما في الجنة من الابواب والقباب والاوراق، وروي في ذلك عدة آثار توافق هذه الاحاديث الثابتة التي تبين التنويه باسمه واعلاء ذكره حينئذ

وقد تقدم لفظ الحديث الذي في المسند عن ميسرة الفجر لما قيل له متى كنت نبيا؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وقد رواه أبو الحسن بن بشران من طريق الشيخ أبي الفرج بن الجوزي في (الوفاء، بفضائل المصطفى) ﷺ: حدثنا ابو جعفر محمد بن عمرو حدثنا احمد بن اسحاق بن صالح ثنا محمد بن صالح ثنا محمد بن سنان العوفي ثنا ابراهيم بن طهمان عن يزيد بن ميسرة عن عبد الله ابن سفيان عن ميسرة قال قلت: يا رسول الله، متى كنت نبيا؟ قال «لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر الى العرش فرأى اسمي فأخبره الله انه سيد ولدك، فلما

غرها الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه »

وروى ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة: ومن طريق الشيخ أبي الفرج حدثنا سليمان بن احمد ثنا احمد بن رشد بن ثنا احمد بن سعيد الفهري ثنا عبد الله ابن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يا رب بحق محمد إلا غفرت لي، فأوحى اليه وما محمد؟ ومن محمد؟ فقال: يا رب إنك لما أنعمت خالقك رفعت رأسي الى عرشك فإذا عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت انه أكرم خلقك عليك، إذ قرنت اسمه مع اسمك . فقال: نعم، قد غفرت لك وهو آخر الانبياء من ذريتك ولولاه ما خلقتك » فهذا الحديث يؤيد الذي قبله وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة (١)

وفي الصحيحين عن عائشة قالت « أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبيب اليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق، وهو بحراء، فأتاه الملك فقال له: اقرأ . قال لست بقاريء . قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ . فقلت: لست بقاريء، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ . فقلت لست بقاريء، ثم أخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق (فرجع لها رسول الله ﷺ ترجف بوادره » الحديث بطواه، فقد اخبر في هذا الحديث الصحيح انه لم يكن قارئاً، وهذه السورة أول ما أنزل

(١) يشير بقوله كالتفسير للاحاديث الصحيحة الى عدم صحتها وكونها ليسا

بمعنى الاحاديث الصحيحة السابقة وأما يوافقان من وجه واحد وهو ككتابة المقادير قبل خلق ما جرت فيه من الخلق وغرضه منها تقوية الشواهد على علم الله بالاشياء وكتابته اياها قبل خلقها، وان نبوتها في العلم غير نبوتها في الوجود

الله عليه وبها صار نبيا، ثم انزل عليه سورة المدثر، وبها صار رسولا لقوله (قم فأذعر) ولهذا ذكر سبحانه في هذه السورة الوجود العيني والوجود العلمي. وهذا أمر بين يعقله الانسان بقلبه لا يحتاج فيه الى سمع، فان الشيء لا يكون قبل كونه. وأما كون الاشياء معلومة لله قبل كونها فهذا حق لا ريب فيه. وكذلك كونها مكتوبة عنده أو عند ملائكته، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وجاءت به الآثار وهذا العلم والكتاب هو القدر الذي يذكره غالية القدرية ويزعمون ان الله لا يعلم افعال العباد إلا بعد وجودها وهم كفار، كفرهم الأئمة كالشافعي وأحمد وغيرهما وقد بين الكتاب والسنة هذا القدر وأجاب النبي ﷺ عن السؤال الوارد عليه، وهو ترك العمل لاجله، فأجاب ﷺ عن ذلك، في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقمعد وقعدنا حوله، ومعه مخضرة^١ فجعل ينكت بمخضرته ثم قال « ما منكم من أحد - أو قال - ما نفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة » قال فقال رجل: يا رسول الله أفلا ننمكت على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ فقال « اعملوا فكل ميسر: أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة - ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى) الى آخر الآيات » وفي رواية: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال « ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار » قالوا يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال « لا. اعملوا فكل ميسر لما خلق له - ثم قرأ (فأما من أعطى) الآية »

وفي الصحيحين أيضاً عن عمران بن حصين قال: قيل يا رسول الله، أعلم أهل

(١) كمكينة: ما يتوكل عليه كالعصا ونحوه وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب

الجنة من اهل النار؟ قل «نعم» قال فقل: ففيم يعمل العاملون؟ فقال «كل ميسر لما خلق له» وفي رواية: ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجة عليهم؟ فقال «لا. بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها * فآلهمها فجورها وتقواها)

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قل: جاء سراقه بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، فم العمل اليوم؟ أفما جفت به الاقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما يستقبل؟ قل «لا. بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير» قل: ففيم العمل؟ قل «اعملوا فكل ميسر»

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قل: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة - قل: وعرشه على الماء»

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت انه قل لابنه: يا بني، انك لن تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب، قل: رب، ما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من مات على غير هذا فليس مني» ورواه الترمذي من وجه آخر عن الوليد بن عبادة انه قل: دعاني - يعني اياه - عند الموت فقال: يا بني اتق الله، واعلم انك إن تتق الله تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله، خيره وشره، وان مات على غير هذا دخلت النار، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب، قل ما أكتب؟ قل اكتب القدر، ما كان وما هو كائن الى الابد»

وفي الترمذي أيضا عن أبي حراثة عن أبيه ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال أرأيت رقي نسترقها ودواء نتداوى به وثقاة نتقيها، هل ترد من قضاء الله تعالى

شيئاً؟ قال «هي من قدر الله»

لكن انما ثبتت في التقدير المعدوم الممكن الذي سيكون، فأما المعدوم الممكن الذي لا يكون فمثل إدخال المؤمنين النار وإقامة القيامة قبل وقتها، وقلب الجبال يواقيت ونحو ذلك، فهذا المعدوم ممكن وهو شيء ثابت في العدم عند من يقول المعدوم شيء، ومع هذا فليس بمقدر كونه، والله يعلمه على ما هو عليه، يعلم انه ممكن وانه لا يكون، وكذلك الممتنعات مثل شريك الباري وولده، فان الله يعلم انه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد، ويعلم انه ليس له شريك في الملك ولا ولي من الدل ويعلم انه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، ويعلم انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض. وهذه المعدومات الممتنعة ليست شيئاً باتفاق العقلاء مع ثبوتها في العلم، فظهر انه قد ثبت في العلم ما لا يوجد وما يمتنع ان يوجد اذ العلم واسع، فاذا توسع المتوسع وقال المعدوم شيء في العلم او موجود في العلم او ثابت في العلم فهذا صحيح، أما انه في نفسه شيء فهذا باطل، وبهذا تزول الشبهة الحاصلة في هذه المسئلة

والذي عليه اهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الاصناف: ان المعدوم ليس في نفسه شيئاً وان ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع القديم، قال الله تعالى (لذكرنا) (وقد خلقناك من قبل ولم يك شيئاً) فأخبر انه لم يك شيئاً. وقال تعالى (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) وقال تعالى (ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) فأنكر عليهم اعتقاد ان يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم ام خلقوا هم انفسهم، ولهذا قال جبير بن مطعم: لما سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة احسست بفؤادي قد انصدع. ولو كان المعدوم شيئاً لم يتم الانكار، إذا جاز ان يقال ما خلقوا إلا من شيء، لكن هو معدوم فيكون الخالق لهم شيئاً معدوماً. وقال تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ولو كان المعدوم شيئاً لكان التقدير: لا يظلمون موجوداً ولا معدوماً، والمعدوم لا يتصور ان يظلموه فانه ليس لهم وأما قوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) فهو إخبار عن الزلزلة الواقعة

أنها شيء عظيم ليس إخباراً عن الزلزلة في هذه الحال ولهذا قال (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) ولو أريد به الساعة لكان المراد به شيء عظيم في العلم والتقدير وقوله تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) قد استدل به من قال المعدوم شيء وهو حجة عليه ، لأنه أخبر أنه يريد بالشيء ، وأنه يكونه ، وعندهم أنه ثابت في العدم وإنما يراد وجوده لأعينه ونفسه . والقرآن قد أخبر أن نفسه تراد وتكون وهذا من فروع هذه المسئلة .

فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده ، وأنه ليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته ، بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته ، وليس وجوده وثبوته في الخارج زائداً على ذلك .

وأولئك يقولون الوجود قدر زائد على الماهية ويقولون الماهيات غير مجعولة ، ويقولون وجود كل شيء زائد على ماهيته ، ومن المتفلسفة من يفرق بين الوجود والواجب والممكن فيقول : الوجود الواجب عين الماهية . وأما الوجود الممكن فهو زائد على الماهية . وشبهة هؤلاء ما تقدم من أن الإنسان قد يعلم ماهية الشيء ولا يعلم وجوده ، وأن الوجود مشترك بين الموجودات وماهية كل شيء مختصة به .

ومن تدبر تبين له حقيقة الأمر فإنا قد قدمنا الفرق بين الوجود العلمي والعيني . وهذا الفرق ثابت في الوجود والعين والثبوت والماهية وغير ذلك . فثبتت هذه الأمور في العلم والكتاب والكلام ليس هو ثبوتها في الخارج عن ذلك (١) وهو ثبوت حقيقتها وماهيتها التي هي هي ، والإنسان إذا تصور ماهية فقد علم وجودها الذهني ، ولا يلزم من ذلك الوجود الحقيقي الخارجي . فقول القائل : قد تصورت حقيقة الشيء وعينه ونفسه وماهيته وما علمت وجوده حصل وجوده العلمي ، وما حصل وجوده العيني الحقيقي ولم يعلم ماهيته الحقيقية ولا عينه الحقيقية ولا نفسه الحقيقية الخارجية فلا فرق بين لفظ وجوده ولفظ ماهيته إلا أن أحد اللفظين قد يعبر به عن الذهني والآخر عن الخارجي فجاء الفرق من جهة المحل لا من جهة الماهية والوجود

وأما قولهم : إن الوجود مشترك والحقيقة لا اشتراك فيها ، فالقول فيه كذلك
فإن الوجود المعين الموجود في الخارج لا اشتراك فيه ، كما أن الحقيقة المعينة الموجودة
في الخارج لا اشتراك فيها . وإنما العلم يدرك الوجود المشترك كما يدرك الماهية
المشتركة ، فالمشترك ثبوته في الذهن لا في الخارج ، وما في الخارج ليس فيه اشتراك
ألبتة ، والذهن أن أدرك الماهية المعينة الموجودة في الخارج لم يكن فيها اشتراك
وأما الاشتراك فيما يدركه من الأمور المطلقة العامة وليس في الخارج شيء مطلق
عام بوصف بالاطلاق والعموم ؟ وإنما فيه المطلق لا بشرط الإطلاق وذلك لا يوجد في
الخارج إلا معينا ، فينبغي للعاقل أن يفرق بين ثبوت الشيء ووجوده في نفسه ، وبين
ثبوته ووجوده في العلم ، فإن ذاك هو الوجود العيني الخارجي الحقيقي ، وأما هذا فيقال
له الوجود الذهني والعلمي . وما من شيء إلا له هذان الثبوتان والعلم يعبر عنه باللفظ ويكتب
اللفظ بالخط فيصير لكل شيء أربعة مراتب : وجود في الأعيان ، ووجود في الأذهان ،
ووجود في اللسان ، ووجود في البنان ، وجود عيني ، وعلمي ، ولفظي ، ورسمي
ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق)
ذكر فيها النوعين فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق)
فذكر جميع المخلوقات بوجودها العيني عموماً ثم خصوصاً ، فخص الإنسان بالخلق
بعد ما عم غيره ، ثم قال (اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم)
فخص التعليم للإنسان بعد تعميم التعليم بالقلم ، وذكر القلم لأن التعليم بالقلم هو الخط
وهو مستلزم لتعليم اللفظ ، فإن الخط يطابقه ، وتعليم اللفظ هو البيان وهو مستلزم
لتعليم العلم ، لأن العبارة تطابق المعنى ، فصار تعليمه بالقلم مستلزماً للمراتب الثلاث :
اللفظي ، والعلمي ، والرسمي ، بخلاف ما لو أطلق التعليم أو ذكر تعليم العلم فقط لم يكن
ذلك مستوعباً للمراتب ،

فذكر في هذه السورة الوجود العيني والعلمي وإن الله سبحانه هو معطيها
فهو خالق الخلق وخالق الإنسان ، وهو العلم بالقلم ومعلم الإنسان
فأما اثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده فهذا أمر معلوم الفساد
بالعقل والسمع وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع .

فصل

الاصل الثاني لمذهب ابن عربي

هذا أحد أصلي ابن عربي . واما الاصل الآخر فقولهم ان وجود الاعيان نفس وجود الحق وعينه . وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين ، وانما هو حقيقة قول فرعون والقرامطة المنكرين لوجود الصانع كما سنبينه ان شاء الله

فن فهم هذا فهم جميع كلام ابن عربي نظمه ونثره (١) وما يدعيه من ان الحق يغتذي بالخلق ، لان وجود الاعيان معتمد بالأعيان الثابتة في العدم ، ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود ، وبالفارق من حيث الماهية والاعيان ، ويرغم ان هذا هو سر القدر ، لان الماهيات لا تقبل الا ما هو ثابت لها في العدم في انفسها ، فهي التي احسنت واساءت ، وحمدت وذمت ، والحق لم يعطها شيئاً الا ما كانت عليه في حال العدم فتدبر كلامه كيف انتظم شيتين : انكار وجود الحق ، وانكار خلقه لمخلوقاته ، فهو منكر للرب الذي خلق فلا يقر برب ولا بخلق ، ومنكر لرب العالمين ، فلا رب ولا عالمون مربوبون ، اذ ليس الا اعيان ثابتة ووجود قائم بها ، فلا الاعيان مربوبة ولا الوجود مربوب ، ولا الاعيان مخلوقة ولا الوجود مخلوق . وهذا يفرق بين المظاهر والظاهر والمجلي والمتجلي ، لان المظاهر عنده هي الاعيان الثابتة في العدم ، واما الظاهر فهو وجود الخلق

(١) هذا بمعنى قول شيخنا ان لكلام ابن عربي مفتاحاً من عرفه فهم جميع كلامه فانا أقرأ الفتوحات كما أقرأ تاريخ ابن الأثير . وقال أيضاً : انما أبهم هؤلاء الصوفية مذهبهم بالاصطلاحات التي تشبه الالغاز نقية وهراباً من تكفير الجمهور لهم

فصل

واما صاحبه الصدر الفخر الرؤمي فانه لا يقول ان الوجود زائد على الماهية، فانه كان ادخل في النظر والكلام من شيخه، لكنه اكفر واقل علما وايمانا، واقل معرفة بالاسلام وكلام المشايخ. ولما كان مذهبهم كفرا كان كل من حذق فيه كان اكفر، فلما رأى ان التفريق بين وجود الاشياء واعيانها لا يستقيم وعنده ان الله هو الوجود ولا بد من فرق بين هذا وهذا، فرق بين المطلق والمعين، فعنده ان الله هو الوجود المطلق الذي لا يتعين ولا يتميز، وانه اذا تعين وتميز فهو الحق سواء تعين في مرتبة الالهية او غيرها. وهذا القول قد صرح فيه بالكفر أكثر من الاول، وهو حقيقة مذهب فرعون والقرامطة، وإن كان الاول أفسد من جهة تفرقته بين وجود الاشياء وثبوتها، وذلك انه على القول لاول يمكن أن يجعل للحق وجودا خارجا عن اعيان الممكنات، وأنه فاض عليها فيكون فيه اعتراف بوجود الرب القائم بنفسه الغني عن خلقه، وان كان فيه كفر من جهة انه جعل المخلوق هو الخالق، والمربوب هو الرب، بل لم يثبت خلقا أصلا. ومع هذا فمأرأته صرح بوجود الرب متميزا عن الوجود القائم بأعيان الممكنات. وأما هذا فقد صرح بانه ماثم سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة. والمطلق ليس له وجود مطلق، فما في الخارج جسم مطلق بشرط الاطلاق، ولا انسان مطلق ولا حيوان مطلق بشرط الاطلاق، بل لا يوجد إلا في شيء معين. والحقائق لها ثلاث اعتبارات: اعتبار العموم، والخصوص، والاطلاق، فاذا قلنا: حيوان عام او انسان عام، أو جسم عام، ووجود عام، فهذا لا يكون إلا في العلم واللسان، وأما الخارج عن ذلك فما ثم شيء موجود في الخارج يعم شيئين، ولهذا كان العموم من عوارض صفات الحي فيقال: علم عام، وإرادة عامة، وغضب عام، موخير عام، وأمر عام، ويوصف صاحب الصفة بالعموم أيضا كما في الحديث الذي

في سنن أبي داود أن النبي ﷺ مر بعلي وهو يدعوفقل « يا علي عمّ، فإن فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الأرض » وفي الحديث أنه لما نزل قوله (وأنذر عشيرتك الأقربين) عم وخص . رواه مسلم من حديث موسى بن طلحة عن أبي هريرة ، وتوصف الصفة بالعموم كما في حديث التشهد « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قلتم ذلك فقد أصابت كل عبد صالح لله في السماء والأرض » .
 وأما اطلاق من أطلق أن العموم من عوارض الالفاظ فقط، فليس كذلك إذ معاني الالفاظ القائمة بالقلب أحق بالعموم من الالفاظ . وسائر الصفات : الإرادة والحب والبغض والغضب والرضا يعرف لها من العموم والخصوص ما يعرض للقول ، وإنما المعاني الخارجة عن الذهن هي الموجودة في الخارج ، كقولهم : مطر عام وخصب عام . هذه التي تنازع الناس : هل وصفها بالعموم حقيقة أو مجاز ؟ على قولين (أحدهما) مجاز لأن كل جزء من أجزاء المطر والخصب لا يقع إلا حيث يقع الآخر فليس هناك عموم ، وقيل بل حقيقة لأن المطر المطلق قد عم .

وأما الخصوص فيعرض لها إذا كانت موجودة في الخارج ، فإن كل شيء له ذات وعين تختص به ويمتاز بها عن غيره ، أعني الحقيقة العينية الشخصية التي لا اشتراك فيها، مثل : هذا لرجل وهذه الحبة وهذا الدرهم ، وما عرض لها في الخارج فإنه يعرض لها في الذهن . فن تصور الذهنية أوسع من الحقائق الخارجية فإنها تشمل الموجود والمعدوم والمتنوع والمقدرات

وأما الاطلاق فيعرض لها إذا كانت في الذهن بلا ريب فإن العقل يتصور انسانا مطلقا ووجودا مطلقا . وأما في الخارج فهل يتصور شيء مطلق ؟ هذا فيه قولان، قيل : المطلق له وجود في الخارج فإنه جزء من المعين ، وقيل لا وجود له في الخارج ، إذ ليس في الخارج إلا معين مقيد ، والمطلق الذي يشترك فيه العدد لا يكون جزءا من المعين الذي لا يشركه فيه

والتحقيق ان المطلق بلا شرط أصلا يدخل فيه المقيد المعين، وأما المطلق بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المعين المقيد، وهذا كما يقول الفقهاء : الماء المطلق، فانه بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المضاف. فإذا قلنا : الماء ينقسم الى ثلاثة أقسام : طهور، وطاهر ونجس، فالثلاثة أقسام الماء. الطهور هو الماء المطلق الذي لا يدخل ما ليس بطهور كالعصارات والمياه النجسة. فالماء المقسوم هو المطلق لا بشرط، والماء الذي هو قسم للمائين هو المطلق بشرط الاطلاق.

لكن هذا الاطلاق والتقيد الذي قلناه الفقهاء في اسم الماء انما هو في الاطلاق والتقيد اللفظي وهو ما دخل في اللفظ المطلق كلفظ ماء، او في اللفظ المقيد كلفظ ماء نجس، او ماء ورد.

وأما ما كان كلامنا فيه أولا فانه لا إطلاق والتقيد في معاني اللفظ، ففرق بين النوعين. فان الناس يغلطون لعدم التفريق بين هذين غلطا كثيرا جداً، وذلك ان كل اسم فما أن يكون مسماه معينا لا يقبل الشركة كأنا وهذا وزيد، ويقال له المعين والجزء، وأما أن يقبل الشركة فهذا الذي يقبل الشركة هو المعنى الكلي المطلق وله ثلاث اعتبارات كما تقدم

وأما اللفظ المطلق والمقيد فمثال تحرير رقبة، ولم تجدوا ماء، وذلك ان المعنى قد يدخل في مطلق اللفظ، ولا يدخل في اللفظ المطلق، اي يدخل في اللفظ لا بشرط الاطلاق، ولا يدخل في اللفظ بشرط الاطلاق، كما قلنا في لفظ الماء، وان الماء يقال على المني وغيره كما قال (من ماء دافق) ويقال : ماء الورد، لكن هذا لا يدخل في الماء عند الاطلاق لكن عند التقيد. فاذا أخذ القدر المشترك بين لفظ الماء المطلق ولفظ الماء المقيد فهو المطلق بلا شرط الاطلاق، فيقال : الماء ينقسم الى مطلق ومضاف، ومورد التقسيم ليس له اسم مطلق لكن بالقرينة يقتضي الشمول والعموم، وهو قولنا الماء ثلاثة أقسام. فهنا أيضا

ثلاثة أشياء : مورد التقسيم وهو الماء العام وهو المطلق بلا شرط ، لكن ليس له لفظ مفرد إلا لفظ مؤلف ، والقسم المطلق وهو اللفظ بشرط اطلاقه ، والثاني المقيد وهو اللفظ بشرط تقييده

وانما كان كذلك لان التكلم باللفظ إما أن يطلقه ويقيده ، ليس له حال ثالثة ، فاذا أطلقه كان له مفهوم واذا قيده كان له مفهوم ، ثم اذا قيده إما أن يقيده بقيد العموم أو بقيد الخصوص . فتيد العموم كقوله : الماء ثلاثة أقسام ، وقيد الخصوص كقوله : ماء الورد

واذا عرف الفرق بين تقييد اللفظ واطلاقه وبين تقييد المعنى واطلاقه عرف ان المعنى له ثلاثة أحوال : إما أن يكون أيضاً مطلقاً أو مقيداً بقيد العموم ، أو مقيداً بقيد الخصوص ، والمطلق من المعاني نوعان : مطلق بشرط الاطلاق ، ومطلق لا بشرط ، وكذلك الالفاظ المطلق منها قد يكون مطلقاً بشرط الاطلاق كقولنا الماء المطلق والرقبة المطلقة ، وقد يكون مطلقاً لا بشرط لا إطلاق ، كقولنا انسان ، فالمطلق المقيد بالاطلاق لا يدخل فيه المقيد بما ينافي الاطلاق ، فلا يدخل ماء الورد في الماء المطلق . وأما المطلق لا بقيد فيدخل فيه المقيد كما يدخل الانسان الناقص في اسم الانسان

فقد تبين ان المطلق بشرط الاطلاق من المعاني ليس له وجود في الخارج ، فليس في الخارج انسان مطلق ، بل لا بد أن يتعين بهذا أو ذاك ، وليس فيه حيوان مطلق ، وليس فيه مطر مطلق بشرط الاطلاق .

وأما المطلق بشرط الاطلاق من الالفاظ كالماء المطلق فسماء موجود في الخارج لان شرط الاطلاق هنا في اللفظ فلا يمنع أن يكون معناه معيناً ، وبشرط الاطلاق هناك في المعنى ، والمسمى المطلق بشرط الاطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها ، وما لا حقيقة له يتميز بها ليس بشيء ، واذا كان له

٢٢ نتيجة ما تقدم ان الحق ليس له وجود معين بل هو كالكلي في الجزئي

حقيقة يتميز بها فتمييزه يمنع أن يكون مطلقاً من كل وجه ، فان المطلق من كل وجه لا يتميز له ، فليس انما وجود هو مطلق بشرط الاطلاق ولكن العدم المحض قد يقال هو مطلق بشرط الاطلاق إذ ليس هناك حقيقة تتميز ولا ذات تتحقق حتي يقال تلك الحقيقة تمنع غيرها بحدها أن تكون إياها ، وأما المطلق من المعاني لا بشرط فهذا اذا قيل بوجوده في الخارج فانما يوجد معيناً متميزاً مخصوصاً ، والمعين الخاص يدخل في المطلق لا بشرط ولا يدخل في المطلق بشرط الاطلاق ، إذ المطلق لا بشرط أعم ، ولا يلزم اذا كان المطلق بلا شرط موجوداً في الخارج أن يكون المطلق المشروط بالاطلاق موجوداً في الخارج لان هذا أخص منه ، فاذا قلنا : حيوان ، أو انسان ، أو جسم ، أو وجود مطلق ، فنحن نعينا به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج ، وإن عطينا المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معيناً مخصوصاً ، فليس في الخارج شيء إلا معين متميز منفصل عما سواه بحده وحقيقته ، فمن قال : ان وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين فحقيقة قوله انه ليس للحق وجود أصلاً ولا ثبوت إلا نفس الاشياء المعينة المتميزة ، والاشياء المعينة ليست إياه فليس شيئاً أصلاً .

وتلخيص النكتة انه لو غني به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج فلا يكون للحق وجود أصلاً ، وإن غني به المطلق بلا شرط ، فان قيل بعدم وجوده في الخارج فلا كلام ، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معيناً فلا يكون للحق وجود إلا وجود الأعيان . فيلزم محذوران (احدهما) انه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات (والثاني) التناقض وهو قوله انه الوجود المطلق دون المعين . فتدبر قول هذا فانه يجعل الحق في الكائنات بمنزلة الكلي في جزئياته وبمنزلة الجنس والنوع والخاصة والفصل في سائر أعيانه الموجودة الثابتة في العدم . وصاحب هذا القول يجعل المظاهر والمراتب في المتعينات كما جعله الاول في الأعيان

فصل

وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهية ووجود ولا بين مطلق ومعين، بل عنده ما ثم سوى، ولا غير بوجه من الوجوه، وإنما الكائنات أجزاء منه وابعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، وآخر البيت من البيت، فمن شعرهم :

البحر لاشك عندي في توحده وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يفرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب ساري العين في العدد
ومنه :

فما البحر إلا الموج لاشيء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد
ولا ريب أن هذا القول هو أحق في الكفر والزندقة، فإن التمييز بين الوجود والماهية، وجعل المعلوم شيئاً أو التمييز في الخارج بين المطلق والمعين وجعل المطلق شيئاً وراء المعينات في الذهن قولان ضعيفان باطلان، وقد عرف من حدد النظر أن من جعل في هذه الأمور الموجودة في الخارج شيئين (أحدهما) وجودها (والثاني) ذواتها، أو جعل لها حقيقة مطلقة موجودة زائدة على عينها الموجودة فقد غلط غلطاً قوياً، واشتبه عليه ما يأخذ من العقل من المعاني المجردة المطلقة عن التعيين، ومن الماهيات المجردة عن الوجود الخارجي بما هو موجود في الخارج من ذلك، ولم يدر أن متصورات العقل ومقدراته أوسع مما هو موجود حاصل بذاته، كما يتصور المعدومات والممتنعات والمشرطات، وبقدر مالا وجود له ألبتة مما يمكن أو لا يمكن، ويأخذ من المعينات صفات مطلقة فيه. فإن الموجودات ذوات متصورة فيه، لكن هذا القول أشد جهلاً وكفراً بالله تعالى، فإن صاحبه لا يفرق بين المظاهر والظاهر، ولا يجعل الكثرة والتفرقة إلا في ذهن الإنسان لما كان محجوباً عن شهود الحقيقة، فلما انكشف غطاؤه عاين أنه لم يكن غير، وإن الرائي عين المرئي والشاهد عين المشهود

فصل

واعلم ان هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه،
ولكن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو انه حكى عن بعض
الفلاسفة قوله : ان الوجود واحد ودذلك ، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين
وانما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار ، وانما كان الكفر بالحلول العام
أو الاتحاد أو الحلول الخاص . وذلك ان القسمة رباعية لان من جعل الرب هو العبد
حقيقة ، فاما ان يقول بحلوله فيه أو اتحاده به ، وعلى التقديرين فاما أن يجعل ذلك
مختصاً ببعض الخلق كاليسوع أو يجعله عاماً لجميع الخلق . فهذه أربعة أقسام :
(الاول) هو الحلول الخاص وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول :
ان اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الاناء ، وهؤلاء ، حققوا
كفر النصارى بسبب مخالفتهم للمسلمين ، وكان أولهم في زمن المأمون . وهذا
قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الامة ، كغالية الرافضة الذين يقولون
انه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته ، وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في
الاولياء ومن يمتقدون فيه الولاية ، أو في بعضهم كالخلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء .
(والثاني) هو الاتحاد الخاص وهو قول يعقوبية النصارى وهم أختب
قولا وهم السودان والقبط ، يقولون ان اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا
كاختلاط اللبن بالماء ، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين الى الاسلام
(والثالث) هو الحلول العام ، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن
طائفة من الجهمية المتقدمين ، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون ان الله
بذاته في كل مكان ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله (وهو الله في السموات وفي
الارض) وقوله (وهو معكم) والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة
وأهل المعرفة وعلماء الحديث .

(الرابع) الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون انه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة ان أولئك قالوا ان الرب يتحد بعبده الذي قربته واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره (والثاني) من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كال المسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير والقذر والاوزاخ، واذا كان الله تعالى قال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) الآية. فكيف بمن قال ان الله هو الكفار والمنافون والصبيان والمجانين والانجاس والانتان وكل شيء؟ واذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا (نحن أبناء الله وأحباءه) وقال لهم (قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر من خلق) الآية. فكيف بمن يزعم ان اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخاق ليسوا غيره ولا سواه؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه؟ وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع؟ كما في قوله ﷺ «ان الله تجوز لأمتي عما حدثت بها أنفسها» وان الناكح عين المنكوح، حتى قل شاعرهم^(١)

واعلم ان هؤلاء لما كان كفرهم في قولهم: ان الله هو مخلوقاته كلها أعظم من كفر النصارى بقولهم (ان الله هو المسيح بن مريم) فكان النصارى ضلالاً أكثرهم لا يعقلون مذهبهم في التوحيد إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل، حيث يعملون الرب جوهرًا واحدًا ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والاشخاص التي هي الاقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر، فيتناقضون مع كفرهم، كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قول رءوسهم ولا يفقهونه، وهم في ذلك كالنصارى، كلما كان الشيخ أحمق واجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم، ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى. هذا مادام أحدهم

(١) سقط من الاصل هذا الشعر وقد يعرف مما سبق من أشتارهم

في الحجاب، فإذا ارتفع عن قلبه وعرف أنه هو فهو بالخيار بين أن يسقط عن نفسه الامر والنهي ويبقى سدى يفعل ما أحب، وبين أن يقوم بمرتبة الامر والنهي لحفظ المراتب، وليقتدي به الناس المحجوبون، وهم غالب الخلق. ويزعمون ان الانبياء كانوا كذلك اذ عدوهم كاملين.

فصل

مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربي وابن سبئين والقونوي والتلمساني مركب من ثلاثة مواد : ساب الجهمية وتعظيمهم، ومجملات الصوفية، وهو ما وجد في كلام بعضهم من الكلمات المجملة المتشابهة، كما ضلت النصاري بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح فيتبعون المتشابه ويركون الحكم، وأيضا كانت المغلوبين على عقلمهم الذين تكلوا في حل سكر، ومن الزندقة الفلسفة التي هي أصل التجهم، وكلامهم في الوجود المطابق والعقول والنفوس والوحي والنبوة والوجوب والامكان، وما في ذلك من حق وباطل. فهذه المادة أغلب على ابن سبئين والقونوي، والثانية أغلب على ابن عربي، ولهذا هو أقربهم إلى الاسلام، والكل مشترك في التجهم. والتلمساني أعظمهم تحقيقا لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها، وأكفرهم بالله وكتبه ورسله وشرائعه واليوم الآخر

وبيان ذلك انه قل : هو في كان متجل بوحدته الذاتية، فالما بنفسه وبما يصدر عنه، وأن المعلومات بأسرها كانت منكشفة في حقيقة العلم شاهدا لها. فيقال له : قد اثبت علمه بما يصدر منه ومعلومات يشهدا غير نفسه، ثم ذكرت أنه عرض نفسه على هذه الحقائق الكونية المشهودة المعدومة، فعند ذلك عبر «بأنا» وظهرت حقيقة النبوة التي ظهر فيها الحق واضحا، وانعكس فيها الوجود المطلق، وأنه هو المسمى باسم الرحمن كما أن الاول هو المسمى باسم الله، وسقت الكلام

الى ان قلت : وهو الان على ما عليه كان فهذا الذي علم انه يصدر عنه وكان مشهودا له معدوما في نفسه هو الحق او غيره ؟ فان كان الحق ؟ فقد لزم ان يكون الرب كان معدوما وان يكون صادرا عن نفسه ، ثم انه تناقض . وان كان غيره ، فقد جمعت ذلك الغير هو مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، وهو الرحمن ، فيكون الخلق هو الرحمن ، فانت حائر بين ان تجعله قد علم معدوما صدر عنه ، فيكون له غير وايس هو الرحمن ، وبين ان تجعل هذا الظاهر الوصف هو اياه وهو الرحمن ، فلا يكون معدوما ولا صادرا عنه ، واما ان تصف الشيء بخصائص الحق الخالق تارة وبخصائص العبد المخلوق تارة ، فهذا مع تناقضه كفر من اغاظ الكفر ، وهو نظير قول النصارى اللاهوت الناسوت . لكن هذا كفر من وجوه متعددة

فصل

(الوجه الاول) ان هذه الحقائق الكونية التي ذكرت انها كانت معدومة في نفسها مشهودة اعيانها في علمه في تجايبه المطلق الذي كان فيه متحداً بنفسه بوحده الذاتية ، هل خلقها وبرأها وجعلها موجودة بعد عدها ام لم تزل معدومة ؟ فان كانت لم تزل معدومة فيجب ان لا يكون شيء من الكونيات موجوداً ، وهذا مكابرة للحس والعقل والشرع ، ولا يقوله عاقل ، ولم يقله عاقل . وان كانت صادرة موجودة بعد عدمها امتنع ان تكون هي اياه ، لان الله لم يكن معدوماً فيوجد . وهذا يبطل الاتحاد ، ووجب حينئذ ان يكون (١) به موجوداً ليس هو الله ، بل هو خلقه ومما اليكه وعبيده . وهذا يبطل قولك : وهو الآن لا شيء معاً (٢) على ما عليه كان (الثاني) ان قولك تركبت الخلقة الالهية من كان الى سرشانه ، او قولك : ظهر

(١) كذا في الاصل ولله : ان يكون ما صار به المعدوم موجوداً الخ

(٢) كذا في الاصل

٢٨ إثبات المؤلف ان الاتحاديين ليسوا بمسلمين بالزامهم ما هو كفر من مذهبهم

الحق فيه ، او نحو ذلك من الالفاظ التي يطلقها هؤلاء الاتحادية في هذا الموضع مثل قولهم : ظهر الحق ، وتجلى ، وهذه مظاهر الحق ومجاليه ، وهذا مظهر الهي وتجلي الهي ، ونحو ذلك . - اتعني به أن عين ذاته حصلت هناك ؟ او تعني به انه صار ظاهراً متجلياً لها بحيث تعلمه ؟ او تعني به أن ظهر خلقه بها وتجلي بها وأنه مائم قسم رابع ؟

فن عنت الاول - وهو قول الاتحادية - فقد صرحت بان عين المخلوقات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات والشياطين والكفار هي ذات الله ، او هي وذات الله متحدتان ، أو ذات الله حالة فيها ، وهذا الكفر اعظم من كفر الذين قالوا (ان الله هو المسيح بن مريم * وإن الله هو ثالث ثلاثة) وان الله يلد ويولد . وان له بنين وبنات . واذا صرحت بهذا عرف المسلمون قولك فأحقوك ببني جنسك (١) فلا حاجة الى الفاظ مجملة يحسبها الضمان ماء . وباليته إذا جاءها لم يجد لها شيئاً ، بل يجدها سماً نقيماً ،

وان عنت أنه صار ظاهراً متجلياً لها ، فهذا حقيقة أمر صار معلوماً لها ، ولا ريب ان الله بصير معروف لعبده . لكن كلامك في هذا باطل من وجهين : من جهة أنك جعلته معلوماً لغيره معدومات التي لا وجود لها لكونه قد علمها ، واعتقدت انها إذا كانت معلومة يجوز أن تصير عالمة ، وهذا عين الباطل : من جهة أنه إذا علم أن الشيء سيكون لم يجز أن يكون هذا قبل وجوده عالماً قادراً فاعلاً . ومن جهة ان هذا ليس حكم جميع الكائنات المعلومة ، بل بعضها هو الذي يصح منه العلم

وأما إن قلت ان الله يعلم بها لكونها آيات دالة عليه ، فهذا حق ، وهودين المسلمين

(١) هذا صرح شيخ الاسلام ان غرضه من هذه الالزامات الباطلة بيان خروجهم بها عن دائرة الاسلام الذي يلبسون بادعائهم اياه على المسلمين بأنهم من أوليائه العارفين . وليس غرضه انه ألزمهم ما يلزمونه ولا يعتقدونه

وشهود العارفين ، لكنك لم تقل هذا لوجهين (أحدهما) انها لاتصير آيات الا بعد أن يخلقها ويجعلها موجودة ، لا في حال كونها معدومة معلومة ، وانت لم تثبت أنه خنقها ولا جعلها موجودة ، ولا أنه أعطى شيئاً خلقه ، بل جعلت نفسه هو هي المتجلية له (الوجه الثاني) انك قد صرحت بأنه تجلى لها وظهر لها ، لا أنه دل بها خلقه وجعلها آيات تكون تبصرة وذكري لكل عبد منيب . والله قد أخبر في كتابه أنه يعمل في هذه المصنوعات آيات ، والآية مثل العلامة والدلالة كما قال (والله كم آله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . إلى قوله . لا آيات تقوم يعقلون) وتارة يسميها نفسها آية كما قال تعالى (وآية لهم الأرض الميتة احييناها) وهذا الذي ذكره الله في كتابه هو الحق .

فاذا قيل في نظير ذلك : تجلى بها وظهر بها كما يقال علم وعرف بها ، كان المعنى صحيحاً لكن لفظ التجلي والظهور في مثل هذا الموضع غير مأثور . وفيه إيهام واجمال . فإن الظهور والتجلي يفهم منه الظهور والتجلي للعين لاسيما لفظ التجلي وإن استعماله في التجلي للعين هو الغالب . وهذا مذهب الاتحادية ، صرح به ابن عربي وقال : فلا تقع العين الا عليه (١)

واذا كان عندهم أن المرئي بالعين هو الله فهذا كفر صريح باتفاق المسلمين . بل قد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولا سيما إذا قيل : ظهر فيها وتجلي ، فإن اللفظ يصير مشتركاً بين أن تكون ذاته فيها أو تكون قد صارت بمنزلة المرآة التي يظهر فيها مثال المرئي ، وكلاهما باطل . فإن ذات الله ليست في المخلوقات ، ولا في نفس ذاته ترى المخلوقات كما يرى المرئي في المرآة ، ولكن ظهورها دلالاتها عليه وشهادتها له ، وانها آيات له على نفسه وصفاته سبحانه وبحمده ، كما نطق بذلك كتاب الله

(الوجه الثالث) ان مقارنة الالف والنون المعبر عنها «بأنا» واللفظة التي هي «حقيقة النبوة» و «الروح الاضافي» هذه الاشياء داخلية في مسمى اسمائه الظاهرة والمضمرة ام ليست داخلية في مسمى اسمائه؟ فان كان الاول فتكون جميع المخلوقات داخلية في مسمى اسماء الله، وتكون المخلوقات جزءاً من الله وصفة له، وان كان الثاني فهذه الاشياء معدومة ليس لها وجود في أنفسها، فكيف يتصور أن تكون موجودة لا موجودة، ثابتة لا ثابتة، منتفية لا منتفية؟ وهذا القسم بين، وهو أحد ما يكشف حقيقة هذا التلبيس

فان هذه الامور التي كانت معلومة له معدومة عند نزول الخلية ظهرت هذه الامور التي ذكرها، فهذه الامور الظاهرة المعلومة بعد هذا النزول قد صارت «أنا» وحقيقة نبوة، وروحاً إضافياً، وفعل ذات، ومفعول ذات، ومعنى وسانط، فان كان جميع ذلك في الله، ففيه كفران عظيمان: كون جميع المخلوقات جزءاً من الله، وكونه متغيراً هذه التغيرات التي هي من نقص الى كمال ومن كمال الى نقص، وان كانت خارجة من ذاته فهذه الاشياء كانت معدومة، ولم يخلقها عندهم خارجة عنه، فكيف يكون الحال؟

(الوجه الرابع) ان عنده حقيقة النبوة وما معها إما أن يكون شيئاً قائماً بنفسه، أو صفة له أو لغيره، فان كان قائماً بنفسه فاما ان يكون هو الله أو غيره، فان كان ذلك هو الله فيكون الله هو النقطة الظاهرة، وهو حقيقة النبوة، وهو الروح الاضافي، وقد قال بعد هذا: انه جعل الروح الاضافي في صورة فعل ذاته، وانه أعطى محمداً عقدة نبوته، فيكون قد جعل نفسه صورة فعله واعطى محمداً ذاته، وهذا مع انه من أبين الكفر وأقبحه فهو متناقض، فمن المعطي ومن المعطى؟ إذا كان أعطى ذاته لغيره، وإن كانت هذه الاشياء أعياناً قائمة بنفسها وهي غير الله فسواء كانت ملائكة أو غيرها من كل ما سوى الله من الاعيان فهو خلق من خلق الله

مصنوع مر بوب ، والله خالق كل شيء ، فهو قد جعل ظهور الحق وصفا ، وانه المسمى باسم الرحمن ، فيكون المسمى باسم الرحمن الواصف لنفسه مخلوقا ، وهذا كفر صريح وهو أعظم من إلحاد الذين (قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟) ومن إلهاد الذين قيل فيهم (وهم يكفرون بالرحمن) فان اولئك كفروا باسمه وصفته مع اقرارهم برب العالمين ، وهؤلاء أقروا بالاسم وجعلوا المسمى مخلوقا من مخلوقاته ، واما ان كانت المراد بهذه الحقيقة وماعها صفة فاما أن تكون صفة لله أو لغيره ، فان كانت صفة لله لم يجوز ان تكون هي المسمى باسم الرحمن ، فان ذلك اسم لنفس الله لا لصفاته ، والسجود لله لا لصفاته ، والدعاء لله لا لصفاته ، وان كانت صفة لغيره فهذا الالتزام أعظم وأعظم

وهذا تقسيم لا محيص عنه ، فان هذا الملحد في اسماء الله جعل هذه العقدة التي سماها (عقدة حقيقة النبوة) وجعلها صورة علم الحق بنفسه ، وجعلها مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، محلا لتمييز صفاته القديمة (١) وان الحق ظهر فيه بصورته ووصفته واصفا يصف نفسه ويحيط به ، وهو المسمى باسم الرحمن ، ثم ذكر انه أعطى محمداً هذه العقدة ، ومعلوم أن المسمى باسم الرحمن هو المسمى باسم الله كما قال تعالى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنی) فيكون هو سبحانه هذه العقدة التي أعطاها لمحمد ، وان كانت صفة له أو غيره فتكون هي الرحمن ، فهذا الملحد دائر بين أن يكون الرحمن هو خلق من خلق الله أو صفة من صفاته ، وبين أن يكون الرحمن قد وهبه الله لمحمد ، وكل من القسمين من أسمع الكفر وأشنع

(الوجه الخامس) أن قوله لهذه الحقيقة طرفان : طرف الى الحق المواجه اليها الذي ظهر فيه الوجود الاعلى واصفا ، وطرف الى ظهور العالم منه وهو

(١) قوله محلا لتمييز صفاته القديمة هو المفعول الثاني لجعل

المسمى بالروح الاضافي ، فذكر في هذا الكلام ظهور الوجود وظهور العالم ، وقد تقدم أن الحق كان ولم يكن معه شيء وهو متجلى بنفسه بوحدة الذاتية ، وأنه لما نزلت الخلية ظهرت عقدة حقيقة النبوة ، فصارت مرآة لانعكاس الوجود فظهر الحق فيه بصورة وصفة واصفا

وقد ذكر في هذا الكلام الحق المواجه اليها والوجود الاعلى الذي ظهر ، فهذا الحق والطرف الذي لها الى الحق ، فقد ذكر هنا ثلاثة أشياء : الحق ، والوجود ، والطرف ، وقد جعل فيما تقدم الحق هو الوجود المخلق الذي انعكس ، وهو الحق الذي ظهر فيه واصفا ، فتارة يجعل الحق هو الوجود المطلق ، وتارة يجعل الوجود المطلق قد ظهر في هذا الحق ، وهذا تناقض

ثم يقال له : هذان عندك عبارة عن الرب تعالى فقد جعلته ظاهراً وجعلته مظهراً ، فان عنيت بالظهور الوجود فيكون الرب قد وجد مرة بعد مرة ، وهذا كفر شنيع ، فكيف يتصور تكرر وجوده ؟ وكيف يتصور أن يكون قد وجد في نفسه بعد أن لم يكن موجواً في نفسه ؟ وإن عنيت الوضوح والتجلي ، وليس (١) هناك مخلوق يظهر له ويتجلى إذ العالم بعد لم يخلق ، وأنت قلت ظهر الحق فيه واصفاً ، وسميته الرحمن ، ولم تجعل ظهوره معلوماً ولا مشهوراً ، فكيف يتصور أن يكون متجلياً لنفسه بعد أن لم يكن متجلياً ؟ فان هذا وصف له بأنه لم يكن يعلم نفسه حتى علمها

وأيضاً فقد قلت : انه كان متجلياً لنفسه بوحدة ، فهذا كفر وتناقض

(الوجه السادس) أن هذا التحير والتناقض مثل تحير النصارى وتناقضهم في الاقانيم . فانهم يقولون : الآب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة ، وهي إله واحد . والمتدبر بناسوت المسيح هو الابن ، ويقولون : هي الوجود ، والعلم ، والحياة ، والقدرة ،

فيقل لهم : إن كانت هذه صفات فليست آلهة ، ولا يتصور أن يكون المتذرع بالمسيح إلهًا إلا أن يكون هو الآب ، وإن كانت جواهر ، وجب أن لا تكون إلهًا واحدًا ، لأن الجواهر اثلاثة لا تكون جوهرًا واحدًا . وقديمثلون ذلك بقولنا زيد العالم القادر الحي ، فهو بكونه عالمًا ليس هو بكونه قادرًا . فاذا قيل لهم هذا كله لا يمنع أن يكون ذاتًا واحدة لها صفات متعددة وانهم لا يقولون ذلك (١)

وأيضًا فالتحد بالمسيح إذا كان إلهًا امتنع أن يكون صفة ، وإنما يكون هو الموصوف . وأنتم لا تقولون بذلك ، فما هو الحق لا تقولونه وما تقولونه ليس بحق ، وقد قل تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) فالتصاري حيارى متناقضون ، أن جعلوا الاقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح إلهًا ، وإن جعلوه جوهرًا امتنع أن يكون إلهًا واحدًا ، وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ويجعلوه ابن الله ، ويجعلوا الآب والابن وروح القدس إلهًا واحدًا . ولهذا وصفهم الله في القرآن بالشرك تارة ، وجعلهم قسما غير المشركين تارة ، لانهم يقولون الامرين وإن كانوا متناقضين

وهكذا حال هؤلاء فانهم يريدون أن يقولوا بالاتحاد وانهم ما ثم غيره ، ويريدون أن يثبتوا وجود العالم ، فجعلوا ثبوت العالم في علمه وهو شاهد له ، وجعلوه متجليا لذلك المشهود له ، فاذا تجلى فيه كان هو المتجلى لا غيره . وكانت تلك الاعيان المشهودة هي العالم

وهذا الرجل وابن عربي يشتركان في هذا ولكن يفرقان من وجه آخر . فان ابن عربي يقول : وجود الحق ظهر في الاعيان الثابتة في نفسها . فان شئت قلت هو الحق ، وإن شئت قلت هو الخلق ، وإن شئت قلت هو الحق والخلق ، وإن شئت قلت لاحق من كل وجه ولا خلق من كل وجه ، وإن شئت قلت

بالخيرة في ذلك . واما هذا فانه يقول : تجلّى الاعيان المشهودة له ، فقد قالوا في جميع الخلق ما يشبه قول ملكية (١) النصارى في المسيح ، حيث قالوا : بان اللاهوت والناسوت صارا جوهرًا واحدًا له اقنومان . وأما التلمساني فانه لا يثبت بعد ذلك بحال فهو مثل يعاقبة النصارى ، وهم أكفرهم ، والنصارى قالوا بذلك في شخص واحد ، وقالوا ان اللاهوت به يتدرع الناسوت بعد أن لم يكن متدرعا به . وهؤلاء قالوا انه في جميع العالم ، وانه لم يزل ، فقلوا بعموم ذلك ولزومه ، والنصارى قالوا بخصوصه وحدوثه ، حتى قل قائلهم : النصارى انما كفروا لانهم خصصوا ، وهذا المعنى قد ذكره ابن عربي في غير موضع من الفصوص ، وذكر ان انكار الانبياء على عباد الاصنام انما كان لاجل التخصيص ، وإلا فالعارف المكمل من عبده في كل مظهر وهو العابد والمعبود ، وان عباد الاصنام لو تركوا عبادتهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منها ، وان موسى انما أنكر على هارون لكون هارون نهماهم عن عبادة العجل لضيق هارون وعلم موسى بانهم ما عبدوا إلا الله ، وان هارون انما لم يسلط على العجل ليعبدوا الله في كل صورة ، وان أعظم مظهر عبد فيه هو الهوى فما عبد أعظم من الهوى . لكن ابن عربي بثبت أعيانا ثابتة في العدم

وهذا ابن حمويه انما أثبتها مشهودة في العلم فقط ، وهذا القول هو الصحيح لكن لا يتم له معه ما دلبه من الاتحاد ، ولهذا كان هو أبعدهم عن تحقيق الاتحاد والقرب إلى الاسلام ، وان كان أكثرهم تناقضا وهذيانا ، فكثرة الهذيان خير من كثرة الكفر . ومقتضى كلامه هذا انه جعل وجوده مشروطا بوجود العالم ، وان كان له وجود ما غير العالم ، كما أن نور العين مشروط بوجود الاجفان وان كان قائما بالحدقة ، فعلى هذا يكون الله مفتقرا إلى العالم محتاجا اليه كاحتياج نور العين إلى الجفنين . وقد قال الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير

(١) طائفة من النصارى كاليعاقة والنسطورية وغيرها

ونحن أغنياء) الى آخر الآية . فاذا كان هذا قوله فيمن وصفه بأنه فقير إلى أموالهم ليعطيها الفقير ، فكيف قوله فيمن ذاته مفتقرة إلى مخلوقاته ، بحيث لولا مخلوقاته لانتشرت ذاته وتفرقت وعدمت ، كما ينتشر نور العين ويتفرق ويعدم إذا عدم الجفن ؟ وقد قال في كتابه (إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا واتن زالتا) الآية . فمن يمسك السموات ؟ وقل في كتابه (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) الآية . وقال (رفع السموات بغير عمد ترونها) وقال (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) لا يؤده لا يثقله ولا يكرثه ، وقد جاء في الحديث حديث أبي داود « ما السموات والارض وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بارض فلاة ، والكرسي في العرش كذلك الحلقة في الفلاة » وقد قال في كتابه (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية . وقد ثبت في الصحاح من حديث أبي هريرة وابن عمر وابن مسعود « إن الله يمسك السموات والارض بيده » فمن يكون في قبضته السموات والارض ، وكرسيه قد وسع السموات والارض ، ولا يؤده حفظهما ، وبأمره تقوم السماء والارض ، وهو الذي يمسكهما ان تزولا ، أيكون محتاجا إليهما مفتقراً إليهما ، اذا زالا تفرق وانتشر ؟ واذا كان المسلمون يكفرون من يقول : ان السموات تقله او تظله لما في ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته ، فمن قال : انه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فانه كافر ؟ لان الله غني عن العالمين ، حي قيوم ، هو الغني المطلق وما سواه فقير اليه ، مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الامة وأئمة السنة ، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، فكيف بمن يقول انه مفتقر إلى السموات والارض ، وانه إذا ارتفعت السموات والارض تفرق وانتشر وعدم ؟ فان حاجته في الحمل إلى العرش أبعد من حاجة ذاته إلى ما هو دون العرش

ثم يقال لهؤلاء : إن كنتم تقولون بقديم العالم وانكار انفطار السموات والارض وانشقاقهما ، وإن كنتم تقولون بمحدثيهما فكيف كان قبل خلقهما ؟ هل كان منتشرًا متفرقًا معدوما ، ثم لما خلقهما صار موجودًا مجتمعًا ؟ هل يقول هذا عاقل ؟ فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر ، مع غاية الجهل والضلال ، فاختاروا أيهما شئتم : إن صور العالم لا تزال تفتى ويحدث في العالم بدلها مثل الحيوان والنبات والمعادن ، ومثل ما يحدثه الله في الجو من السحاب والرعد والبرق والمطر وغير ذلك ، فكما عدم شيء من ذلك انتقص من نور الحق ويتفرق ويعدم بقدر ما عدم من ذلك ، وكما زاد شيء من ذلك زاد نوره واجتمع ووجد وأما إن عني أن نور الله باق بعد زوال السموات والارض لكن لا يظهر فيه شيء ، — فما الشيء الذي يظهر بعد عدم هذه الاشياء ؟ وأي تأثير للسموات والارض في حفظ نور الله ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ انه قال « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام . ينخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور — أو النار — لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه » وقال عبد الله بن مسعود « إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه » فقد أخبر الصادق المصدوق أن الله لو كشف حجابيه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من السموات والارض وغيرهما ، فمن يكون سبحات وجهه تحرق السموات والارض وأما حجابيه هو الذي يمنع هذا الاحراق ، أيكون نوره انما يحفظ بالسموات والارض ؟

(الوجه السابع) قوله فالعلويات جفتها فوقاني ، والسفليات جفتها تحتاني ، والتفرقة البشرية في السفليات ، أهذاب الجفن فوقاني ، والنفس الكلية سوادها ، والروح الاعظم بياضها . يقال له : فإذا كان العالم هو هذه العين فالعين الاخرى أي

شيء هي ؟ وبقية الاعضاء أين هي ؟ هذا لانه قولك إن عنيت بالعين المتعين ، وان عنيت الذات والنفس وهو ما تعين فيه ، فقد جعلت نفس السموات والارض والحيوان والملائكة أبعاضاً من الله وأجزاء منه ، وهذا قول هؤلاء الزنادقة والفرعونية الاتحادية الذين أتبعهم الله في الدنيا اعتقوبوم القيامة هم من المقبوحين

فيقال له : فعلى هذا لم يخلق الله شيئاً ولا هو رب العالمين ، لانه إما أن يخلق نفسه أو غيره ، فحقه لنفسه محال وهذا معلوم بالبدئية ان الشيء لا يخلق نفسه ، ولهذا قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) يقول أخلقوا من غير خالق م هم خلقوا أنفسهم ؟ ولهذا قل جبير بن مطعم لما سمعت النبي ﷺ يقرأ هذه الآية أحسست بفؤادي قد انصدع . فقد علموا أن الخالق لا يكون هو المخلوق بالبدئية وخلق له غيره متمنع على أصلهم لان هذه الاشياء هي أجزاء منه ليست غيراً له (الوجه الثامن) انه جعل البشر أهداب جفن حقيقة الله وهم دائماً يزيدون وينقصون ويموتون ويحيون ، وفيهم الكافر والمؤمن والفاجر والبر ، فيكون أهداب جفن حقيقة الله لا تزال مقرقة كاشرة فاسدة ، ويكون المشركون واليهود والنصارى أجفان حقيقة الله ، وقد لعن من جعلهم أبناءه على سبيل الاصطفاء فكيف بمن جعلهم من نفسه (الوجه التاسع) انه متناقض من حيث جعل الروح بياضها والنفس الكلوية سوادها والسموات الجفن الاعلى والارضون الجفن الاسفل . ومعلوم ان جفني عين الانسان محيطان بالسواد والبياض ، والروح والنفس عنده هي فوق السموات والارض ليست بين السماء والارض ، كما ان سواد العين وبياضها بين الجفنين ، فهذا التمثيل مع انه من اقبح الكفر ففيه من الجهالة والتناقض ما تراه

(الوجه العاشر) ان النفس الكلوية اسم تلقاه عن الصابئة الفلاسفة . وأما الروح فان مقصوده بها هو الذي يسمونه العقل وهو اول الصادرات . وسماء هو روحاء ، وهذا بناء على مذهب الصابئة ، وليس هذا من دين الخنفاء ، وقد بينا فساد

ذلك في غير هذا الموضع . لكن الصابئة الفلاسفة خير من هؤلاء فنههم يقرون
بواجب الوجود الذي صدرت عنه العقول والنفوس والافلاك والارض لا يجعلونها اياه
وهؤلاء يجعلونها اياه . فقولهم انما ينطبق على المعطلة مثل فرعون وحزبه الذي قل (ومارب
العالمين) وقال (ما علمت لكم من اله غيري) وقل (ياها مان ابن لي صرحا اعلى ابلغ
الاسباب اسباب السموات) الآية ، فان فرعون يقر بوجود هذا العالم ويقول
ما فوقه رب ولا له خالق غيره . فهؤلاء اذا قالوا انه عين السموات والارض ، فقد
جحدوا ما جحد فرعون واقروا بما أقربه فرعون ، الا ان فرعون لم يسمه آلهما
ولم يقل هو الله . وهؤلاء قالوا هذا هو الله . فهم مقرون بالصانع لكن جعلوه هو
الصنعة . فهم في الحقيقة معطلون ، وفي اعتقادهم مقرون ، وفرعون بالعكس كان
منكراً للصانع في الظاهر وكان في الباطن مقراً به . فهو أكفر منهم ، وهم اضل
منه واجهل . ولمذا يعظمونه جدا

(الوجه الحادي عشر) قول القائل بل هذا هو الحق الصريح المتبع ، لا ما يرى
المنحرف عن مناهج الاسلام ودينه ، المتحير في ببداء ضلالاته وجهله . فيقال : من الذي
قال هذا الحق من الاولين والآخرين ؟ وهذا كتاب الله من اوله الى آخره الذي هو
كلام الله ووحيه وتنزيله ليس فيه شيء من هذا ، ولا في حديث واحد عن النبي ﷺ
ولا عن احد من أئمة الاسلام ومشايخه . الا عن هؤلاء المفسرين على الله الذين هم
في مشايخ الدين نظير جنكس خان في أمر الحرب ، فديانتهم تشبه دولته ، ولعل
إقراره بالصانع خير من إقرارهم ، لكن بعضهم قد يوجب الاسلام فيكون خيراً
من التتار من هذا الوجه

وأما محققوهم وجهوهم فيجوز عندهم اليهود والنصر والاسلام والاشراك ،
لا يحرمون شيئاً من ذلك ، بل المحقق عندهم لا يحرم عليه شيء ولا يجب عليه شيء ،
ومعلوم ان التتار الكفار خير من هؤلاء ، فان هؤلاء مرتدون عن الاسلام من

أقبح أهل الردة ، والمرتد شر من الكافر الأصلي من وجوه كثيرة ، وإذا كان أبو بكر الصديق (١)

وأما ما حكاه عن الذي سماه الشيخ لتحقيق العالم الرباني الغوث السابع في الشمعة من أنه قل : أعلم أن العلم بمجموعه حذقة عين الله التي لا تنام الخ لكلام عليه من وجوه

(أحدها) أن تسمية قائل مثل هذا المنقال محققا وعالما وربانيا عين الضلالة وانغواية، بل هذا كلام لا تقوله لا اليهود ولا النصراني ولا عباد الاوثان، فإن كان الذي قاله مسلوب العقل كل حكمه حكم غيره في أن الله رفع عنه القلم، وإن كان عاقلا فجرة على الله الذي يقول (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا ادا * تسكاد السموات يتفطرن منه) الى آخر الآيات وقل (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول - الى قوله - الظالمين) وقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم - الى قوله - واليه النصير) فإذا كان هذا قوله فيمن يقول انهم أبناءؤه وأحباءؤه فكيف قوله فيمن يقول انهم أهداب جفنه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

(الوجه الثاني) أن هذا الشيخ الضال الذي قال هذا الكفر والضلال قد نقض آخر كلامه بأوله ، فإن لفظ العين مشترك بين الشيء وبين العضو المبصر وبين مسميات آخر، وإذا قل بين الشيء ، فهو من العين التي بمعنى النفس أي تميز بنفسه عن غيره ، فإذا قل إن العالم بمجموعه حذقة عين الله التي لا تنام فاعين هنا بمعنى البصر. ثم قل في آخر كلامه : ونعني بعين الله ما يتعين الله فيه . فهذا من العين

(١) بياض في الاصل قدر سطر بن لعله ذكر فيه أمثاله المرتدين وما نعي الزكاة من العرب وكون هؤلاء شر منهم لا باحتهم ترك جميع شرائع الاسلام

بمعنى النفس ، وهذه العين ليس لها حدقة ولا أجفان ، وإنما هذا بمنزلة من قال نبتت العين وفاضت وشربنا منها واغتسلنا ، ووزنتها في الميزان فوجدتها عشرة مثاقيل وذهبها خالص ، وسبب هذا أنه كثيرا ما كان يتصرف في حروف بلا معان

(الوجه الثالث) انه تناقض من وجه آخر فانه إذا كان العالم هو حدقه العين فينبغي أن يكون قد بقي من الله بقية الاعضاء غير العين ، فإذا قل في آخر كلامه: والله هو نور العين، كان الله جزءا من العين أو صفة له ، فقد جعل في أول كلامه العالم جزءا من الله، وفي آخر كلامه جعل الله جزءا من العالم، وكل من القولين كفر، بل هذا أعظم من كفر الذين ذكرهم الله بقوله (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين * أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) فإذا كان الله كفر من جعل له من عباده جزءا فكيف من جعل عباده تارة جزءا منه وتارة جعله هو جزءا منهم؟ فلمن الله أرباب هذه المقالات وانتصر لنفسه والكتب به ورسوله ولعباده المؤمنين منهم (الوجه الرابع) انه تناقض من جهة أخرى، فانه إذا قال العين: ما يتعين الله فيه، والعالم كله حدقة عينه التي لا تنام، فقد جعله متعينا في جميع العالم ، فإذا قل بعدها وهو نور العين، بقيت سائر أجزاء العين من الاجفان والاهداب والسواد والبياض لم يتعين فيها، فقد جعله متعينا فيها غير متعين فيها

(الوجه الخامس) ان نور العين مفتقر الى العين محتاج اليها لقيامه بها ، فإذا كان الله في العالم كالنور في العين وجب أن يكون محتاجا إلى العالم واعلم ان هذا القول يشبه قول الحلوية الذين يقولون هو في العالم كالماء في الصوفة وكالحياة في الجسم ونحو ذلك، ويقولون هو بذاته في كل مكان، وهذا قول قدماء الجهمية الذين كفروهم أثمة الاسلام . وحكى عن الجهم انه كان يقول هو مثل هذا الهواء ، أو قل هو هذا الهواء

وقوله أولا : هو حدقة عين الله ، يشبه قول الاتحادية من الاتحادية يقولون

هو مثل الشمعة التي تتصور في صور مختلفة وهي واحدة، فهو عندهم الوجود، واختلاف احواله كاختلاف احوال الشمعة، ولهذا كان صاحب هذه المقالات متخطباً لا يستقر عند المسلمين الموحدين المخلصين، ولا هو عندهؤلاء الملاحدة الاتحادية من محققهم العارفين. فان هؤلاء كلهم من جنس النصيرية والاسماعيلية، مقالات هؤلاء في الرب من جنس مقالات أولئك، وأولئك فيهم المتمسك بالشريعة وفيهم المتخلي عنها، وهؤلاء كذلك، لكن أولئك أحذق في الزندقة، وهم يعلمون انهم معطلون مثل فرعون، وهؤلاء جهال يحسبون انهم يحسنون صنعا

(الوجه السادس) قوله من العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله تعالى بحيث لا يظهر فيه شيء أصلاً. وهذا كلام مجمل، ولا ريب ان قتل هذه المقالة من المذنبين بين الكافرين والمؤمنين، لاهو من المؤمنين ولا من الاتحادية المحضة، لكنه قد لبس الحق بالباطل، وذلك ان الاتحادية يقولون ان عين السموات والارض لو زالت لعدم الله، واللفظ يصرح به بعضهم، واما غالبهم فيشيرون اليه إشارة وعوامهم لا يفهمون هذا من مذهب الباقين فن، هؤلاء من جنس القرامطة والباطنية، وأولئك انما يصل الى البلاغ الاكبر الذي هو آخر المراتب خواصهم. ولهذا حدثني بعض أكابر هؤلاء الاتحادية عن صاحب هذه المقالة انه كان يقول ليس بين التوحيد والاحاد الفرق الخفيف. فقلت له: هذا من أبطل الباطل، بل ليس بين مذهبين من الفرق أعظم مما بين التوحيد والاحاد. وهذا قاله بناء على هذا الخلط واللبس الذي خلطه، مثل قوله ان العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء.

فيقال له: إذا ارتفعت العلويات والسفليات فما تعني بانبساطه؟ اتعني تفرقه وعدمه كما يتفرق نور العين عند عدم الاجفان؟ أم تعني انه ينبسط شيء موجود؟

وما الذي ينبسط حينئذ ؟ هو نفس الله أم صفة من صفاته ؟ وعلى أى شيء ينبسط ؟ وما الذي يظهر فيه أولا يظهر ؟

فإن عيت الاول وهو مقتضى اول كلامك، لأنك قلت: وإنما قلنا ان العلويات والسفليات اجفان عين الله لانهما يحافظان على ظهور النور ، فلو قطعت اجفان عين الانسان لتفرق نور عينه وانتشر بحيث لا يرى شيئا أصلا، فكذلك العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء أصلا .

وقد قلت : ان الله هو نور العين والروح الاعظم بياضها والنفس السكينة سوادها . ومعلوم ان نور العين على ما ذكرته بشرط وجوده هو الاجفان، فإذا ارتفع الشرط ارتفع المشروط، فيكون العلم عندك شرطا في وجود الله، فإذا ارتفع العلم ارتفعت حقيقة الله لانتفاء شرطه، وان أثبت له ذاتا غير السالم فهذا أحد قولي الانحادية ، فانهم تارة يجعلون وجود الحق هو عين وجود المخلوقات ليس غيرها. وعلى هذا فلا يتصور وجوده مع عدم المخلوقات، وهذا تعطيل محض للصانع، وهو قول القونوي والتفلسافي ، وهو قول صاحب الفصوص في كثير من كلامه ، وتارة يجعلونه وجودا قائما بنفسه، ثم يجعلون نفس ذلك الوجود هو أيضا وجود المخلوقات بمعنى انه فاض عليها . وهذا أقل كفرا من الاول ، وان كان كلاهما من اغاظ الكفر وأقبحه . وفي كلام صاحب الفصوص وغيره في بعض المواضع ما يوافق هذا القول . وكذلك

كلام هذا فإنه قد يشير الى هذا المعنى

ثم مع ذلك هل يجعلون وجوده مشروطا بوجود العالم فيكون محتاجا الى العالم أولا يجعلون ؟ قد يقولون هذا وقد يقولون هذا

(السابع) انهم يمدحون الضلال والخير والظلم والخطا والعذاب الذي عذب الله به الامم، ويقالون كلام الله وكلام رسوله قلبا يعلم فسادهم بضرورات العقول، مثل قول صاحب الفصوص: لو ان نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لا جابوه، فدعاهم جهارا، ثم دعاهم

اسراراً - الى أن قال : وذكر عن قومه أنهم تصاموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من اجابة دعوته ، فعلم العلماء بالله - أشار اليه نوح في حق قومه من انشاء عليهم بلسان الذم ، وعلم انهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والامر قرآن لافرقان ومن أقيم في اقرآن لا يصفى الى الفرقان وان كان فيه .

فيمدحون وبحمدون ماذمه الله وامه ونهى عنه ، ويأتون من الافك والفرية على الله والاحاد في اسماء الله وآياته بما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * كقول صاحب الفصوص في فص نوح :

(مما خطيائهم غرقوا) فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة (فدخلوا ناراً) في عين الماء في المحمدتين ، (فاذا البحار سجرت - سجرت التنوير اذا أوقدته) فلم يدوا لهم من دون الله انصاراً) فكان الله عين انصارهم ، فهل كوا فيه الى الابد ، فلو اخرجتهم الى السيف سيف الطبيعة انزلوا عن هذه الدرجة الرفيعة ، وإن كان الكل لله وبالله بل هو الله (قال نوح رب لا تدرك على الارض من الكافرين) الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم ، طلباً للستر لانه دعاهم ليغفر لهم ، والغفر الستر (دياراً) أحداً حتى تعم المنفعة كاعت الدعوة (إنك إن تذرهم) أي تدعهم وتتركهم (يضلوا عبادك) أي يحيروهم ويخرجوهم من العبودية ، إلى ما فيهم من اسرار الربوبية ، فينظروا انفسهم أرباباً ، بعد ما كانوا عند انفسهم عبيداً ، فهم العبيد الارباب (ولا يلدوا) أي ما ينتجون ولا يظهرون (لا فاجراً) أي مظهر ماستر (كفاراً) أي ساتراً مظهر بعد ظهوره ، فينظرون ماسترهم ثم يسترون بعد ظهوره . فيحار الناظر ، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره ولا الكافر في كفره ، والشخص واحد (رب اغفر لي) أي استرني واستر مراحلي ، فيجهل مقامي وقدري كما جهل قدرك في قولك « وما قدروا الله حق قدره » (ولو الذي) أي من كنت تنتج عنه وما العقل والطبيعة (ولمن دخل بيتي) أي قايي (مؤمناً) مصداقاً بما يكون فيه من الاخبار الالهية وهو ما

حدثت به أنفسها (وللمؤمنين) من العقول (والمؤمنات) من النفوس (ولا ترد الظالمين) من الظلمات أهل العنت المكتنفين داخل الحجب الظلمانية (الابتارا) أي هلاكاً. فلا يعرفون نفوسهم، لشهودهم وجه الحق دونهم. اهـ

وهذا كله من أقبح تبديل كلام الله وتحريفه، ولقد ذم الله أهل الكتاب في القرآن على ما هو دون هذا، فنه ذمهم على انهم حرفوا الكلم عن مواضعه وانهم (يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف، وكتبوا كتب النفاق والاحاد بأيديهم وزعموا انها من عند الله، تارة يزعمون انهم يأخذون من حيث يأخذ الملك الذي يوحى به إلى النبي، فيكون فوق النبي بدرجة، وتارة يزعمون انهم يأخذون من حيث يأخذ الله، فيكون أحدهم في عمله بنفسه بمنزلة علم الله به، لان الاخذ من معدن واحد، وتارة يزعم أحدهم أن النبي ﷺ أعطاه في منامه هذا النفاق العظيم، والاحاد البليغ، وأمره ان يخرج به إلى أمته وانه أبرزه كما حدث له رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، وكان جماعة من الفضلاء - حتى بعض من خاطبني فيه وانتصر له - يرى انه كان يستحل الكذب، ويختارون أن يقلل كان يتعمد الكذب، وان ذلك هو أهون من الكفر، ثم صرحوا بان مقالته كفر. وكان ممن يشهد عليه بتعمد الكذب غير واحد من عقلاء الناس وفضلائهم من المشايخ والعلماء

ومعلوم ان هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله وانه من أحق الناس بقوله (ومن أظلم ممن اقترى على الله الكذب أو قل أوحى الي ولم يوح اليه شيء) وكثير من المتنبئين الكذابين كالحخار بن أبي عبيد وأمثاله لم يبلغ كذبهم واقترأوه إلى هذا الحد، بل مسيامة الكذاب لم يبلغ كذبه واقترأوه إلى هذا الحد، وهؤلاء كلهم كان يعظم النبي ﷺ ويقر له بالرسالة، لكن كان يدعي انه رسول آخر، ولا ينكرون وجود الرب

ولا ينكر القرآن في الظاهر، وهؤلاء جحدوا الرب واشركوا به كل شيء، وافتروا هذه
الذنوب التي قد يزعمون أنها أعظم من القرآن، ويفضلون نفوسهم على النبي ﷺ
من بعض الوجوه، كما قد صرح به صاحب الفصوص عن خاتم الأولياء
وحدثني الثقة عن الفاجر التماساني أنه كان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه
توحيد وإنما التوحيد في كلامنا

وأما الضلال والخيرة فما مدح الله ذلك قط ولا قال النبي ﷺ « زدني فيك
تحيراً » ولم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من
كتب الحديث، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله
ورسوله، وكذلك احتجاجه بقوله (كلما اضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا)
وإنما هذا حال المنافقين المرتدين، فإن الضلال والخيرة مما ذمه الله في القرآن، قال
الله تعالى في القرآن (قل ائدعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا
بما إذا هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) الآية

وهكذا يريد هؤلاء الضالون المتحIRON أن يفعلوا بالمؤمنين، يريدون أن
يدعوا من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، وهي المخلوقات والأوثان والأصنام
وكل ما عبد من دون الله، ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم، يردونهم عن
الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، ويصيروا حائرين ضالين
كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى: اتقنا
وقال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم إلى قوله - يعمهمون) أي يحارون ويترددون
وقال تعالى (إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم
ولا الضالين) فأمر بأن نسأله هداية الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم المغايرين
للمغضوب عليهم والضالين. وهؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل
الضلال والخيرة، مخالفة لكتب الله ورسله، ولما فطر الله عليه عباده من العقول والألباب

فصل

﴿ في ذكر بعض ألفاظ ابن عربي التي تبين ما ذكرنا من مذهبه ، فمن أكثر الناس قد لا يفهمونه ﴾

قال في فص يوسف — بعد أن جعل العالم بالنسبة إلى الله كظل الشخص ، وتناقض في التشبيه : فكل ماتدركة فهو وجود الحق في أعيان الممكنات ، فمن حيث هوية الحق هو وجوده ، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات ، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل ، كذلك لا يزول عنه باختلاف الصور اسم العالم أو اسم سوى الحق ، فمن حيث أحدية كونه ظلا هو الحق ، لانه الواحد الأحد ، ومن حيث كثرة الصور هو العالم ، فنظن وتحقق ما أوضحناه لك . وإذا كان الامر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقي ، وهذا معنى الخيال ، أي خيل لك انه أمر زائد قائم بنفسه خارج عن الوجود الحق ، وليس كذلك في نفس الامر . لا تراه في الحس متصلا بالشخص الذي امتد عنه يستحيل عليه الانفكاك عن ذلك الاتصال ، لانه يستحيل على الشيء الانفكاك عن ذاته ، فاعرف عينك ومن أنت وما هويتك ؟ وما نسبتك إلى الحق وبما أنت حق وبما أنت عالم وسوى وغير ؟ وما شا كل هذه الالفاظ

وقال في أول الفصوص بعد (فص حكمة آلهية في كلمة آدمية) وهو (فص حكمة نفثية ، في كلمة شيثية) وقد قسم العطاء بأمر الله وانما يكون عن سؤال وعن غير سؤال وذكر القسم الذي لانسان^(١) لان شيثاً هو هبة الله — إلى أن قال : «ومن هؤلاء من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه في حال ثبوت

(١) كذا في الاصل وهو محرف أو سقط منه شيء والكلام في فص شيث هذا يقتضي ان المراد أول انسان حصل له العلم بالنفث الملكي في الروح هو نوث وهو علة تسميته . والشيخ أنار الى مقدمة هذا النص اشارة بجملة لان غرضه ما بعدها

عينه قبل وجودها ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به ، وهو ما كان عليه في حال ثبوته ، فيعلم علم الله به من أين حصل ، وما تم صنف من اهل الله أعلا وأكشف من هذا الصنف ، فهم الواقفون على سر القدر ، وهم على قسمين : منهم من يعلم ذلك مجملًا ، ومنهم من يعلم ذلك مفصلاً ، والذي يعلمه مفصلاً أعلا وأتم من الذي يعلمه مجملًا ، فانه يعلم ما تعين في علم الله فيه ، إما باعلام الله إياه بما أعطاه عينه من العلم به ، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة وعن انتقالات الاحوال عليها إلى ما لا يتناهى ، وهو أعلا ، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به ، لان الأخذ من معدن واحد ، الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له هي من جملة أحوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف إذا أطلعه الله على ذلك (اي على احوال عينه) فانه ليس في وسع المخلوق اذا أطلعه الله على احوال عينه اثابة التي تقع صورة الوجود عليها ان يطلع في هذه الحل على اطلاع الحق على هذه الاعيان اثابة في حال عدمها ، لانها نسب ذاتية لا صورة لها ، فهذا القدر نقول : ان العناية الإلهية سبقت لهذا العبد بهذه المساواة في إفادتها العلم ، ومن هنا يقول (الله حتى نعلم) وهي كلمة محققة المعنى ، ماهي كما يتوهم من ليس له هذا المشرب ، وغاية المنزه ان يجعل ذلك الحدوث في العلم للتعليق ، وهو أعلا وجه يكون للتكلم بعقله في هذه المسئلة ، لولاه انه ثبت العلم زائداً على الذات فجعل التعليق له لا للذات ، وبهذا انفصل عن المحقق من اهل الله صاحب الكشف والوجود .

ثم نرجع الى الإعطيات فنقول : إن الاعطيات إما ذاتية أو اسمائية ، فأما المنح والهبات والعطايا الذاتية فلا تكون ابداً الا عن تجلي إلهي ، والتجلي من الذات لا يكون ابداً الا لصورة استعداد العبد المتجلي له ، وغير ذلك لا يكون ، فاذن المتجلي له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق وما رأى الحق ولا يمكن ان يراه مع علمه انه ما رأى صورته إلا فيه ، كالمراة في الشاهد إذا رأيت الصور فيها لا تراها مع علمك انك ما رأيت الصور أو صورتك إلا فيها ، فابرز الله ذلك مثالا نصبه لتجليه

الذاتي، ليعلم المتجلى له انه مارآه، وما ثم مثل اقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من هذا، واجهد في نفسك عند ما ترى الصورة في المرآة ان ترى جرم المرآة لا ترام ابداً ألبته، حتى ان بعض من أدرك مثل هذا في صور المرئي ذهب الى ان الصورة المرئية بين بصر الراي وبين المرآة، هذا اعظم ما قدر عليه من العلم، والامر كما قلناه وذهبنا اليه . وقد بينا هذا في الفتوحات المكية ، واذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في ان ترقى أعلا من هذا الدرج فما هو ثم اصلا وما بعده الا العدم المحض، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤيته اسماء وظهور أحكامها ، وليست سوى عينه فاخلط الامر وانهم ، فمننا من جهل في علمه فقال * والمجز عن درك الادراك ادراك * (١) ومنا من علم فلم يقل مثل هذا القول وهو أعلا القول ، بل اعطاه العلم السكوت ما اعطاه العجز ، وهذا هو اعلا عالم بالله .

وليس هذا العلم الا خاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم، حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء ، فان الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - ينقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً . والمرسلون من حيث كونهم اولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء ، فكيف من دونهم من الاولياء ، وإن كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل، كما انه من وجه يكون أعلا . وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا اليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم ، وفي

(١) هذا القول منسوب الى الصديق الا كبرائي بكر (رض) وابن عربي بفضل

نفسه عليه في العلم بالله كما ترى بعده وبدعى انه مساو لرسول الله ﷺ بل يفضل

نفسه عليه من بعض الجهات

بيان ما في هذا الفصل من الكفر بالالهية والربوبية والازراء بالرسالة ٤٩

تأبير النخل . فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء ، وفي كل مرتبة .
وانما نظر الرجل الى التقدم في مرتبة العلم بالله ، هنالك مطلبهم ، وأما حوادث
الاكوان فلا تعلق لخواطهم بها ، فتحقق ما ذكرناه

« ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالخائط من اللبن وقد كل سوى موضع لبنة فكان
النبي ﷺ تلك اللبنة ، غير انه ﷺ لا يراها الا كقل لبنة واحدة . وأما خاتم
الاولياء فلا بد له من هذه الرؤية ما مثل به رسول الله ﷺ فيرى في الخائط
موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة فيرى المبتئين اللتين ينقص الخائط عنهما
ويكمل بهما ابنة ذهب ولبنة فضة ، فلا بد من أن يري نفسه تنطبع في موضع تينك
اللبنتين فيكون خاتم الاولاء تينك اللبنتين . ليكمل الخائط

« والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر ،
وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره وما ينبع فيه من الاحكام ، كما هو آخذ عن
الله تعالى في السر ما هو بانصورة الظاهرة متبع فيه ، لانه رأى الامر على ما هو
عليه ، فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فانه آخذ من
المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول .

« فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع فكل نبي من لدن آدم الى
آخر نبي ما منهم أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين وان تأخر وجود طينته ،
فانه بحقيقته موجود ، وهو قوله ﷺ « كنت نبيا و آدم بين الماء والطين » وغيره
من الانبياء ما كان نبيا الا حين بعث . وكذلك خاتم الاولياء كان وليا و آدم بين
الماء والطين ، وغيره من الاولياء ما كان وليا الا بعد تحصيله شرائط الولاية من الاخلاق
الالهية والاتصاف بها من اجل كون الله يسمي بالولي الحميد

« فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية مثل نسبة الانبياء والرسل .

معه ، وانه الولي الرسول النبي . وخاتم الاولياء الولي الوارث الآخذ عن الاصل
المشاهد المراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل محمد ﷺ ، مقدم الجماعة ، وسيد
ولد آدم في فتح باب الشفاعة . فعين بشفاعته حالا خاصا ما عم . وفي هذه الحل
الخاص تقدم على الاسماء الالهية . فان الرحمن ماشف عنده المقيم في أهل البلاء الابعد
شفاعة الشافعين ، ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص

« فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه قبول مثل هذا الكلام » اهـ

✱

فهذا الفصل قد ذكر فيه حقيقة مذهبه التي يبني عليها سائر كلامه فتدبر ما فيه
من الكثر الذي (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا)
وما فيه من جحد خلق الله وامره ، وجحود ربه وبيته وألوهيته وشمه وسبه ، وما فيه
من الازراء برسله وصديقيه واتقدم عليهم بالدعاوي الكاذبة ، التي ليس عليها
حجة ، بل هي معلومة الفساد بادنى عقل وإيمان ، وأيسر ما يسمع من كتاب وقرآن ، وجعل
الكفار والمنافقين والفراعة هم أهل الله وخاصته أهل الكشف وذلك باطل من وجوه
(إحداهما) انه أثبت له عينا ثابتة قبل وجوده ولسائر الموجودات وإن ذلك
ثابت له ولسائر أحواله وكل ما كان موجودا من الاعيان والصفات والجواهر
والاعراض فعينه ثابتة قبل وجوده . وهذا ضلال قد سبق اليه كما تقدم

(الثاني) انه جعل علم الله بالعبد انما حصل له من علمه بتلك العين اثابة في العدم
التي هي حقيقة العبد ، لا من نفسه المقدسة ، وأن علمه بالاعيان الثابتة في العدم
واحوا لها تمنعه أن يفعل غير ذلك ، وأن هذا هو سر اقدر . فتضمن هذا وصف الله
تعالى بالفقر الى الاعيان وغناها عنه ، ونفى ما استحقه بنفسه من كل علمه وقدرته ،
ولزوم التجبيل والتعجيز ، وبعض ما في هذا الكلام المضاهاة لما ذكره الله عن
قال (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء) الآية ، فانه جعل
حقائق الاعيان الثابتة في العدم غنية عن الله في حقائقها وأعيانها ، وجعل الرب

مفتقرا اليه في علمه بها، فما استفاد علمه بها الا منها، كما يستفيد العبد العلم بالمحسوسات من إدراكه لها، مع غنى تلك المدركات عن المدرك . والمسلمون يعلمون ان الله عالم بالاشياء قبل كونها بعلمه القديم الازلي الذي هو من لوازم نفسه المقدسة لم يستفد علمه بها منها (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فقد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالاشياء من وجوه انتظمت البراهين المذكورة لاهل النظر والاستدلال انقياسي العقلي من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم

(أحدها) انه خالق لها والخلق هو الابداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل كونها في الخارج

(الثاني) أن ذلك مستلزم الارادة والمشيئة، والارادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به ، وهذه الطريقة المشهورة عند أكثر أهل الكلام

(الثالث) انها صادرة عنه وهو سببها التام والعلم باصل الامر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب. فعلمه بنفسه مستلزم العلم بكل ما يصدر عنه

(الرابع) انه في نفسه لطيف يدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي، وهذا هو مقتضي العلم بالاشياء ، فيجب وجود المقتضى لوجود السبب التام ، فهو في علمه بالاشياء مستغن بنفسه عنها كما هو غني بنفسه في جميع صفاته. ثم إذا رأى الاشياء بعد وجودها وسمع كلام عباده ونحو ذلك فأنما يدرك ما أبدع وما خلق وما هو مفتقر اليه ومحتاج من جميع وجوهه، لم يحتاج في علمه وإدراكه الى غيره البتة. فلا يجوز أقول بان علمه بالاشياء استفاده من نفس الاشياء الثابتة الغنية في ثبوتها عنه وأما جحود قدرته فلانه جعل الرب لا يقدر الا على تجليه في تلك الاعيان الثابتة في العدم الغنية عنه، فقدرته محدودة بها مقصورة عليها مع غناها عنه وثبوت حقائقها ببنونه. وهذا عنده هو السر الذي اعجز الله أن يقدر على غير ما خلق، فلا يقدر عنده على أن يزيد في العالم ذرة ولا ينقص منه ذرة ، ولا يزيد في المطر قطرة

ولا ينقص منه قطرة، ولا يزيد في طول الانسان ولا ينقص منه ، ولا يغير شيئاً من صفاته ولا حر كاته ولا سكناته، ولا ينقل حجراً عن مقره، ولا يحول ماء عن ممره، ولا يهدي ضالا ولا يضل مهتدياً، ولا يحرك ساكناً ولا يسكن متحركاً . ففي الحيلة لا يقدر الا على ما وجد، لان ما وجد فعينه ثابتة في العدم ولا يقدر على اكثر من ظهره في تلك الاعيان

وهذا التجلي والتعجيز الذي ذكره وزعم انه هو سر القدر وإن كان قد تضمن بعض ما قاله غيره من الضلال ففيه من الكفر ما لا يرضاه غيره من الضالين . فان القائلين بان المعلوم شيء يقولون ذلك في كل ممكن كان أو لم يكن ، ولا يجعلون علمه بالاشياء مستفاداً من الاشياء قبل أن يكون وجودها ، ولا خلقه وقدرته مقصورة على ما علمه منها ، فانه يعلم نواعاً من الممكنات لم يخلقها . فمعلومه من الممكنات أوسع مما خلقه ، ولا يجعلون المانع من أن يخلق غير ما خلق هو كون الاعيان الثابتة في العدم لا تقبل سوى هذا الوجود ، بل يمكن عندهم وجودها على صفة أخرى ، هي أيضاً من الممكن الثابت في العدم فلا يفتضي قولهم لا إلى تهويل ولا إلى تعجيز من هذا الوجه . وإنما قد يقولون المانع من ذلك أن هذا هو أكل الوجوه وأصلحها ، فعلمه بانه لا أكل من هذا يمنع أن يريد ما ليس أكل بحكمته فيجعلون المانع أمراً يعود الى نفسه المقدسة حتى لا يجعلونه ممنوعاً من غيره ، فإن من لا يجعل له مانعاً من غيره ولا راداً لقضائه ممن يجعله ممنوعاً مصدوداً ؟ وأين من يجعله عالماً بنفسه ممن يجعله مستفيداً للعلم من غيره ؟ ومن هو عني عنه ؟ هذا مع أن اكثر الناس أنكروا على من قل : ليس في الامكان أبدع من هذا العالم

(الثالث) انه زعم ان من الصنف الذي جعله اعلا اهل الله من يكون في علمه بمنزلة علم الله ، لان الاخذ من معدن واحد اذا اكشف له عن أحوال الاعيان الثابتة في العدم فيعلمها من حيث علمها الله ، الا انه من جهة العبد غيبة من الله سبقت له

هي من جملة احوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف اذا أطامه الله على ذلك
فجعل علمه وعلم الله من معدن واحد

(الرابع) انه جعل الله عالما بها بعد ان لم يكن عالما وتبع المتشابه الذي هو قوله:
(حتى يعلم) وزعم انها كلمة محققة المعنى بناء على أصله الفاسد أن وجود العبد هو
عين وجود الرب، فكل مخلوق علم ما لم يكن علمه فهو الله علم ما لم يكن علمه . وهذا
ماسبقه اليه كافر، فان غاية المكذب بقدر الله ان يقول ان الله علم ما لم يكن عالما، اما
انه يجعل كل ما تجدد لمخلوق من العلم فتما تجدد لله ، وأن الله لم يكن عالما بما علمه
كل مخلوق حتى علمه ذلك المخلوق

(الخامس) انه زعم ان التجلي الذاتي بصورة استعداد المتجلي والمتجلي له
ما رأى سوى صورته في مرآة الحق، وانه لا يمكن أن يرى الحق مع علمه بانه ما رأى صورته
إلا فيه، وضرب المثل بالمرآة فجعل الحق هو المرآة والصورة في المرآة هي صورته
وهذا تحقيق ما ذكرته من مذهبه : أن وجود الاعيان عنده وجود الحق ،
والاعيان كانت ثابتة في العدم ، فظهر فيها وجود الحق بالتجلي له ، والعبد
لا يرى الوجود مجرداً عن الذوات، ما يرى إلا الذوات التي ظهر فيها الوجود، فلا
سبيل له إلى رؤية الوجود أبداً . وهذا عنده هو الغاية التي ليس فوقها غاية في
حق المخلوق وما بعده إلا العدم المحض ، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت
مرآته في رؤيته اسماء وظهور أحكامها . وذلك لان العبد لا يرى نفسه التي هي
عينه إلا في وجود الحق الذي هو وجوده ، والعبد مرآته في رؤيته اسماء وظهور
أحكامها، لان اسماء الحق عنده هي النسب والاضافات التي بين الاعيان وبين
وجود الحق ، وأحكام الاسماء هي الاعيان الثابتة في العدم، وظهور هذه الاحكام
بتجلي الحق في الاعيان، والاعيان التي هي حقيقة العيان هي مرآة الحق التي بها
يرى اسماء وظهور أحكامها ، فانه إذا ظهر في الاعيان حصلت النسبة التي بين

الوجود والاعيان وهي الاسماء ، وظهرت أحكامها وهي الاعيان ، ووجود هذه الاعيان هو الحق ، فلهذا قال وليست سوى عينه ، فاختلط الامر وانهم .
فتدبر هذامن كلامه وما يناسبه لتعلم مايعتقده من ذات الحق واسمائه ، وان ذات الحق عنده هي نفس وجود المخلوقات ، واسماء هي النسب التي بين الوجود والاعيان ، وأحكامها هي الاعيان . لتعلم كيف اشتمل كلامه على الجحود لله ولاسمائه واصفاته وخلقه وأمره ، وعلى الالحاد في أسماء الله وآياته ، فإن هذا الذي ذكره غاية الالحاد في أسماء الله وآياته والآيات المخلوقة والآيات المتلوة ، فإنه لم يثبت له اسما ولا آية ، إذ ليس إلا وجوداً واحداً وذلك ليس هو اسما ولا آية ، والاعيان اثباتية ليست هي اسماءه ولا آياته ، ولما اثبت شيئين فرق بينهما الوجود والاثبات وليس بينهما فرق اختلط الامر عليه وانهم .

وهذا حقيقة قوله وسر مذهبه الذي يدعى انه به أعلم العالم بالله ، وأنه تقدم بذلك على الصديق الذي جهل فقال : العجز عن الادراك إدراك ، وتقدم به على المرسلين الذين علموا ذلك من مشكاته^(١) وفيه من أنواع الكفر والضلال ما يطول عدها (منها) الكفر بذات الله إذ ليس عنده إلا وجود المخلوق (ومنها) الكفر باسماء الله وأنها ليست عنده إلا أمور عدمية فاذا قلنا الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فليس الرب عنده إلا نسبة إلى^(٢)

(السادس) انه قال واختلط الامر وانهم ، او هو على أصله انما سدت مختلط منهم

- (١) لانه يدعي أنه هو ختم الولاية ، وان خاتم الولاية أعلى من خاتم النبوة في الباطن ، وان كان يتبعه في الظاهر ، الخ ما تقدم ، وغايته انه بلغ من غروره بما حذقه من الثثرة بخلط النظريات الفلسفية بالخيالات الصوفية ان حاول ادعاء قراء قصوصه بانه رب العالمين من حيث انه أكمل مظهر للخلق الذي هو عين الحق ، ومما الرب عنده إلا نسبة إضافية بين ما يسمى حقاً وما يسمى خلقاً وما في نفس الامر بشي واحد
- (٢) بياض في الاصل يعلم ماسقط منه مما تقدم

وعلى أصل أهل الهدى والايان متميز متبين، قد بين الله بكتابه الحق من الباطل والهدى من الضلال.

قل : فمننا من جهل علمه فنال العجز عن درك الادراك . وهذا الكلام مشهور عندهم لنسبته إلى أبي بكر الصديق ، فجعله جاهلا وإن كان هذا اللفظ لم ينتقل عن أبي بكر ولا هو ماثور عنه في شيء من النقول المعتمدة، وإنما ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر نحواً من ذلك عن بعض التابعين غير مسمى، وإنما يرسل رسالاً من جهة من يكثر الخطأ في مراسيلهم، كما يحكون عن عمر أنه قل : كان النبي ﷺ وأبو بكر إذا تخطبا كنت كالزنجي بينهما . وهذا أيضاً كذب باتفاق أهل المعرفة ، وإنما الذي في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قل خطبنا رسول الله ﷺ على المنبر « قل ان عبداً خير الله بين الدنيا والآخرة فاختار ذلك العبد ما عند الله » فبكى أبو بكر فقال : بل نفديك بانفسنا وأموالنا ، أو كما قل ، فجعل الناس يقولون : عجباً لهذا الشيخ يبي أن ذكر رسول الله ﷺ عبداً خير الله بين الدنيا والآخرة . فكان رسول الله ﷺ هو الخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به . وكان أبو بكر هو أعلمهم بمراد رسول الله ﷺ ومقاصده في كلامه . وإن كانوا كلهم مشتركين في فهمه .

وهذا كما في الصحيح أنه قيل لعلي عليه السلام : هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئاً ؟ وفي لفظ : هل عهد إليكم رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس ؟ فقال « لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يؤتاه الله عبداً في كتابه ، وما في هذه الصحيفة (١) » وهذا ونحوه من الأحاديث الصحيحة استدلل العلماء على أن ما يذكر عن علي وأهل البيت من أنهم إختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون (١) هي صحيفة علقها في سيفه كتب فيها عن النبي ﷺ أحكام الدنيا وفكاك الأسير وتحرير المدينة

غيرهم كذب عليهم ، مثل ما يذكر منه الجفر والبطاقة والجدول ، وغير ذلك وما يآثره القرامطة الباطنية عنهم ، فنه قد كذب على جعفر الصادق رضي الله عنه ما لم يكذب على غيره . وكذلك كذب على علي عليه السلام وغيره من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم ، كما قد بين هذا وبسط في غير هذا الموضع

وهكذا يكذب قوم من النساك ومدعي الحقائق على أبي بكر وغيره وأن النبي ﷺ كان يحاط به بحقائق لا يفهمها عمر مع حضوره . ثم قد يدعون أنهم عرفوها وتكون حقيقتها زندقة والحادا . وكثير من هؤلاء الزنادقة والجهال قد يحتج على ذلك بحديث أبي هريرة « حفظت عن رسول الله ﷺ جرابين اما احدهما فبثنته فيكم . واما الآخر فلو بثنته لقطعتم هذا الحلقوم » وهذا الحديث صحيح ، لكن الجراب الآخر لم يكن فيه شيء من علم الدين ومعرفة الله وتوحيده الذي يختص به أولياؤه ، ولم يكن أبو هريرة من أكابر الصحابة الذين يخصصون بمثل ذلك لو كان هذا مما يخص به ، بل كان في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين ، فإن النبي ﷺ أخبرهم بما سيكون من الفتن بين المسلمين ، ومن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار . ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك قال ابن عمر : لو أخبركم أبو هريرة انكم تقتلون خليفتم وتهدمون البيت (١) وغير ذلك لقلم : كذب أبو هريرة ، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث بأحاديث الفتن قبل وقوعها لان ذلك مما لا يحتمله رؤس الناس وعوامهم . وكذلك يحتجون بحديث حذيفة بن اليمان وانه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، وحديث حذيفة معروف ، لكن السر الذي لا يعلمه غيره هو معرفته بأعيان المنافقين الذين كانوا في غزوة تبوك . ويقل : انهم كانوا هموا

(١) بل قال أبو هريرة نفسه لو قلت لكم انكم ستحرقون بيت ربكم وتقتلون ابن نبيكم لقلم لا أكذب من أبي هريرة . وقد كان تزل الحسين عليه السلام بعد موت أبي هريرة وإنما كان يخاف قطع حلقومه من بني أمية

بالفكك بالنبي ﷺ فأوحى إلى النبي ﷺ أمرهم ، فأخبر حذيفة بأعيانهم . ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة ، لأن الصلاة على المنافقين منهي عنها وقد ثبت في الصحيح عن حذيفة أنه لما ذكر الفتن وأنه أعلم الناس بهايين أن النبي ﷺ لم يخصه بمحدثها ولكن حدث الناس كلهم ، قال « وكان أعلمنا أحفظنا » وما يبين هذا أن في السنن أن النبي ﷺ كان عام الفتح قد أهدر دم جماعة منهم عبد الله بن أبي سرح ، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ ليبياعه ، فتوقف عنه النبي ﷺ ساعة ، ثم بياعه وقال « أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أمسكت عن هذا فيضرب عنقه » فقال رجل من الانصار . يا رسول الله ، هلا أومأت إلي ؟ فقال « ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين » فهذا ونحوه مما يبين أن النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه ، لا يظهر للناس خلاف ما يبطنه ، كما تدعيه الزنادقة من المتفلسفة والقرامطة وضلال المتنسكة ونحوهم

(السابع) انه « قل ومنما من علم فلم يقل مثل هذا ، وهو على القول ، بل أعطاه العلم والسكرت ما أعطاه العجز . وهذا هو أعلا عالم بالله . وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه أحد من الاولياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الاولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم . حتى إن الرسل لا يرونه متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الاولياء . فن لرسالة والنبوة أعنى نبوة التشريع ورسالته ينقطعان ، والولاية لا تنقطع ابداً . فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء ؟ وإن كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدر في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه ، فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلا - إلى قوله - ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالخائط من الابن

ففي هذا الكلام من أنواع الحاد والكفر وتنقيص الانبياء والرسل ما لا تقوله
 لا اليهود ولا النصارى . وما اشبهه في هذا الكلام بما ذكر في قول القائل : خسر عليهم
 السقف من تحتهم ان هذا لا عقل ولا قرآن . وكذلك ما ذكره هنا من أن الانبياء والرسل
 تستفيد من خاتم الاولياء الذي بعدهم هو مخالف للعقل فن انتقدم لا يستفيد من المتأخر .
 ومخالف للشرع ، فانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الانبياء والرسل
 أفضل من الاولياء الذين ليسوا انبياء ولا رسلا . وقد يزعم ان هذا العلم الذي هو
 عنده أعلى العلم وهو القول بوحدة الوجود ، وان وجود الخالق هو وجود المخلوق
 وهو تعطيل الصانع حقيقة وجعده ، وهو القول الذي يظهره فرعون . فلم يكفه زعمه
 ان هذا حق ، حتى زعم انه أعلا العلم ، ولم يكفه ذلك حتى زعم ان الرسل إنما
 يرونه من مشكاة خاتم الاولياء . فجعل خاتم الاولياء أعلم بالله من جميع الانبياء
 والرسل ، وجعلهم يرون العلم بالله من مشكاته

ثم أخذ يبين ذلك فقال : فان الرسالة والنبوة اعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان
 والولاية لا تنقطع ابداً . فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من
 مشكاة خاتم الاولياء ، وذلك انه لم يمكنهم أن يجعلوا بعد النبي ﷺ نبيا ورسولا
 فان هذا كفر ظاهر ، فزعموا انه إنما تنقطع نبوة التشريع ورسالته ، يعني وأما نبوة
 التحقيق ورسالة التحقيق وهي الولاية عندهم فلم تنقطع ، وهذه الولاية عندهم هي
 أفضل من النبوة والرسالة ، ولهذا قال ابن عربي في بعض كلامه :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي
 وقال في الفصوص في (كلمة عزيرية) « فاذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول أو
 ينقل اليك عنه انه قل الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه ،
 أو يقول : إن الولي فوق النبي والرسول فانه يعني بذلك في شخص واحد ، وهو أن
 الرسول عليه السلام من حيث هو ولي أمم منه من حيث هو نبي ورسول ، لأن

الولي التابع له أعلا منه ، فإن التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه ^(١) إذ لو أدركه لم يكن تابعا له . وإذا حوقموا على ذلك قالوا : ان ولاية النبي فوق نبوته وإن نبوته فوق رسالته ، لانه يأخذ بولايته عن الله ، ثم يعملون مثل ولايته ثابتة لهم ، ويعملون ولاية خاتم الاولياء أعظم من ولايته ، وأن ولاية الرسول تابعة لولاية خاتم الاولياء الذي ادعوه

وفي هذا الكلام أنواع قد بينها في غير هذا الموضع (منها) أن دعوى المدعي وجود خاتم الاولياء على ما ادعوه باطل لا أصل له ، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء ، إلا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية) وقد ذكر في هذا الكتاب ما هو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والاجماع وهو رحمه الله تعالى وإن كان فيه فضل ومعرفة ومن الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محودة في كلامه من الخطأ ما يجب رده ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية ، مثل دعواه فيه انه يكون في التأخر من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما . ثم انه تناقض في موضع آخر لما حكى عن بعض الناس ان الولي يكون منفردا عن الناس ، فباطل ذلك واحتج بابي بكر وعمر وقال يلزم هذا أن يكون أفضل من أبي بكر وعمر ، وأبطل ذلك (ومنها) انه ذكر في كتابه ما يشعر ان ترك الاعمال الظاهرة ولو أنها التطوعات المشروعة أفضل في حق الكامل ذي الاعمال القلبية وهذا أيضا خطأ عند أئمة الطريق ، فان أكل الخلق رسول الله ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وما زال محافظا على ما

(١) - امش الاصل ما نصه : قوله فيما هو تابع له فيه ، كانه يريد ما يزعم من انه تابع للنبي ﷺ في الشرع الظاهر . وأما الباطن فلا ، لانه يزعم ان خاتم الانبياء وجميع الانبياء والرسل يأخذون من مشكاته ، فهو عند نفسه أعلى منهم في ذلك . قبحه الله . انتهى من خط الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى رحمه الله

يمكنه من الايراد والتطوعات البدنيه الى مماته (ومنها) ما ادعاه من خاتم الاولياء الذي يكون في آخر الزمان وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الاولياء ، وانه يكون معهم كخاتم الانبياء مع الانبياء . وهذا ضلال واضح . فان أفضل اولياء الله من هذه الامة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وامثالهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة . وخير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفي الترمذي وغيره أنه قال في ابي بكر وعمر « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والاخرين الا الانبيين والمرسلين » قال الترمذي حديث حسن وفي صحيح البخاري عن علي عليه السلام انه قال له ابنه يا أبت ، من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا بني ابو بكر » قال : ثم من ؟ قال « ثم عمر » وروى بضع وثمانون نفسا عنه انه قال « خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »

وهذا باب واسع وقد قال تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وهذه الاربعة هي مراتب العباد: أفضلهم الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يفضل أحدنا نفسه على يونس ابن متى مع قوله (ولا تكن كصاحب الحوت) وقوله (وهو ملجم) تنبيهها على ان غيره أولى أن لا يفضل أحد نفسه عليه. ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يقولن أحدكم اني خير من يونس بن متى » وفي صحيح البخاري أيضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ينبغي لعبد أن يكون خيرا من يونس بن متى » وفي لفظ « أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وفي البخاري أيضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال - يعني رسول الله « لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وفي الصحيحين عن ابن عباس

عن النبي ﷺ - وفي لفظ : فيما يرويه عن ربه «لا ينبغي لعباد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» وهذا فيه نهى عام

وأما ما يرويه بعض الناس «لا تفضلوني على يونس بن متى» ويفسره باستواء حال صاحب المعراج وصاحب الخوت فنقل باطل وتفسير باطل . وقد قال النبي ﷺ «اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وأبو بكر أفضل الصديقين ولفظ خانم الاولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الامة ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله. وموجب هذا اللفظ انه آخر مؤمن بقي، فان الله يقول (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الآية (١) فكل من كان مؤمنا «تقيا» كان لله وليا، وهم على درجتين: السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر، وسورة الواقعة، والانسان، والمطففين

وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد اذني بالحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببتة كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما تردت عن شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وكره مساءته ولا بدله منه» فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الابرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون اليه بالنوافل التي يحجبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون، وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر بن الخطاب «اعلم ان لله عليك حقا بالليل لا يقبله بالتها، وحقا بالنهار لا يقبله بالليل، وانها لا تقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة

والاتحادية يزعمون ان قرب النوافل يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه، وأن

قرب الفرائض يوجب ان يكون الحق عين وجوده كله. وهذا فاسد من وجوه كثيرة ، بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع . واذا كان خاتم الاولياء آخر مؤمن بقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الاولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم ، فانه كما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول وأخذاً عنه وموافقة له كان أفضل ، اذ الولي لا يكون ولياً لله الا بمتابعة الرسول باطناً وظاهراً . فعلى قدر المتابعة للرسول يكون قدر الولاية لله

والاولياء وان كان فيهم محدث كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «انه كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي فعمر» فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هذه الامة عمر وأبو بكر أفضل منه ، اذ هو الصديق والمحدث وان كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة فانه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي : قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تضمن لنا العصمة في المكشوف والالهام . ولهذا كان عمر بن الخطاب وقفا عند كتاب الله وكان أبو بكر الصديق يبين أشياء تخالف ما يقع له كما بين له يوم الحديبية ويوم موت النبي ﷺ ويوم قتال مانعي الزكاة وغير ذلك ، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة فتارة يرجع اليهم وتارة يرجعون اليه وربما قال القول وترد عليه امرأة من المسلمين قوله وتبين له الحق فيرجع اليها وبدع قوله كما قدر الصدوق ، وربما يرى رأيا فيذكر له حديث عن النبي ﷺ فيعمل به وبدع رأيه وكان يأخذ بعض السنة عن هو دونه في قضايا متعددة ، وكان يقول القول فيقال له : أصبت فيقول : ما يدري عمر أصاب الحق أم أخطاه . فاذا كان هذا امام المحدثين ، فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه الى يوم القيامة هو دون عمر فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم وان كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ وهو نظير ما ثبت للانبياء من العصمة ، والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا - فهذا

باطل مخالف للسنة والاجماع ، ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وان كانوا متفاضلين في الهدى والنور والاصابة، ولهذا كان الصديق أفضل من المحدث ، لان الصديق يأخذ من مشكاة النبوة فلا يأخذ إلا شيئاً معصوماً محفوظاً ، واما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه . وبهذا صار جميع الاولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة ، لا بد لهم أن يزونا جميع امورهم بآثار الرسول ، فما وافق آثار الرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل وان كانوا مجتهدين فيه والله تعالى يشيهم على اجتهدهم ويفقر لهم خطاهم .

ومعلوم ان السابقين الاولين أعظم اهتداء واتباعاً للآثار النبوية فهم أعظم إيماناً وتقوى . وأما آخر الاولياء فلا يحصل له مثل ما حصل لهم . والحديث الذي يروى « مثل أمي كمثل الغيث لا يدرى أوله خير أو آخره » قد تكلم في إسناده ، وبتقدير صحته انما معناه بما في آخر الامة من يقارب أولها (١) حتى يشتبه على بعض الناس أيها خير كما يشتبه على بعض الناس طرفا الثوب ، مع القطع بأن الاول خير من الآخر ولهذا قال « لا يدرى » ومعلوم أن هذا السلب ليس عاماً لها فإنه لا بد أن يكون معلوماً أيهما أفضل .

ثم ان هذا خاتم الاولياء صار مرتبة موهومة لاحقيقة له وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ولم يدعها إلا من في كلامه من الباطل مالم تقله اليهود ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص ، وتابعه صاحب الكلام في

(١) فيه معنى آخر ، وهو ان هذا الخير في التأخر نسبي وهو ان القليل منه يعد كثيراً بالنسبة الى فساد زمنه . وبدل عليه أحاديث : منها انه عندما يجاهر الناس بالزنا في الطرق يقول قائلهم : ما ضر هذين لو استترا وراء هذا الجدار - وهو يعد كآبي بكر وعمر فيكم

الحروف ، وشيخ من أتباعهم كان بدمشق ، وآخر كان يزعم انه المهدي الذي يزوج بنته بعيسى بن مريم ، وانه خاتم الاولياء . ويدعي هؤلاء وأمثالهم من الامور ما لا يصلح الا لله وحده ، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخه ما ادعته النصاري في المسيح

ثم صاحب الفصوص وأمثاله بنوا الامر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك ، فهذا صار خاتم الاولياء أفضل عندهم من هذه الجهة ، وهذا باطل وكذب ، فان الولي لا يأخذ عن الله إلا بواسطة الرسول اليه ، وإذا كان محدثا قد أتى اليه شيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ،

وتكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه : من وراء حجاب كما كلم موسى ، وبارسال رسول كما أرسل الملائكة الى الانبياء ، وبالإيجاء ، وهذا فيه للولي نصيب ، وأما المرتبتان الاوليان فانهما للانبياء خاصة ، والاولياء الذين قامت عليهم الحجة بالرسول لا يأخذون علم الدين إلا بتوسط رسل الله اليهم ، ولولم يكن الا عرضه على ما جاء به الرسول (١) ولن يصلوا في أخذهم عن الله الى مرتبة نبي أو رسول ، فكيف يكونون آخذين عن الله بلا واسطة ويكون هذا الاخذ أعلى وهم لا يصلون الى مقام تكليم موسى ولا الى مقام نزول الملائكة عليهم كما نزلت على الانبياء ، وهذا دين المسلمين واليهود والنصارى

وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فبنوا على اصلهم الفاسد : ان الله هو الوجود المطلق الثابت لكل موجود ، وصار ما يقع في قلوبهم من الخواطر - وان كانت

(١) كذا واهل جواب لو سقط من النسخ أو حذف للعلم به . وفيه أنهم يمترون بهذا الاخذ لاحكام التشريع الظاهرة دون الحقائق الباطنة التي يدعونها ويطلقونها على فلسفتهم وخیالاتهم الباطلة

من وساوس الشيطان - يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن الله بلا واسطة ، وأنهم يكلمون كما كلم موسى بن عمران ، وفيهم من يزعمون أن حالهم أفضل من حال موسى بن عمران ، لأن موسى سمع الخطاب من الشجرة وهم على زعمهم يسمعون الخطاب من حي ناطق كما يذكر عن صاحب الفصوص أنه قال :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وأعانهم على ذلك ما اعتقدوه من مذاهب الجهمية وأتباعهم الذين يزعمون أن تكليم الله لموسى إنما كان من جنس الإلهام ، وأن العبد قد يرى الله في الدنيا إذا زال عن عينه المانع إذا لا حجاب عندهم للرؤية منفصل عن العبد ، وإنما الحجاب متصل به ، فإذا ارتفع شاهد الحق ، وهم لا يشاهدون إلا ما يمثّلونه من الوجود المطلق الذي لا حقيقة له إلا في أذهانهم ، ومن الوجود الخلق . فيكون الرب المشهود عندهم الذي يخاطبهم في زعمهم لا وجود له إلا في أذهانهم أو لا وجود له إلا وجود المخلوقات . هذا هو التعطيل للرب تعالى ولكتبه ولرسله ، والبديع دهليز الكفر والنفاق ، كما أن التشيع دهليز الرفض ، والرفض دهليز القرمطة والتعطيل ، فالكلام الذي فيه تجهم دهليز الزندقة والتعطيل . وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله يُرى في الآخرة ، وأنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه . وفي رؤية النبي ﷺ ربه كلام معروف لعائشة وابن عباس ، فعائشة أنكرت الرؤية ، وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال : رأى محمداً به بفؤاده مرتين . وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره أنه أثبت رؤيته بفؤاده . وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة ، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا ، كما لم يثبت عن أحد منهم إنكار الرؤية في الآخرة ، ولكن كلا القولين تقول به طوائف من الجهمية ، فلتفي يقول به متكلمة الجهمية ،

والاثبات يقول به بعض متصوفة الجهمية كالانحادية وطائفة من غيرهم، وهؤلاء الاتحادية يجمعون بين النفي والاثبات، كما يقول ابن سبعين: عين ما ترى ذات لا ترى، وذات لا ترى عين ما ترى. ونحو ذلك، لان مذهبهم مستلزم الجمع بين النقيضين، فهم يقولون في عموم الكائنات ما قالته النصارى في المسيح، ولهذا تنوعوا في ذلك تنوع النصارى في المسيح

ومن الانواع التي في دعواهم ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء من بعض الوجوه، فان هذا لم يقله أبو عبد الله الحكيم الترمذي ولا غيره من المشايخ المعروفين، بل الرجل اجل قدراً وأعظم ايماناً من ان يفترى هذا الكفر الصريح، ولكن خطأ شبراً، ففرعوا على خطئه ما صار كفرآ.

وأعظم من ذلك زعمه ان الاولياء والرسل من حيث ولايتهم تابعون لخاتم الاولياء وأخذوا من مشكاته، فهذا باطل باعقل والدين، فان المتقدم لا يأخذ من المتأخر، والرسل لا يأخذون من غيرهم. وأعظم من ذلك انه جعلهم تابعين له في العلم بالله الذي هو أشرف علومهم، وأظهر من ذلك انه جعل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود القائلين بان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق

فليتدبر المؤمن هذا الكفر القبيح درجة بعد درجة. واستشهاده على تفضيل غير النبي عليه بقصة عمر وتابير النخل، فهل يقول مسلم ان عمر كان أفضل من النبي ﷺ برأيه في الاسرى؟ وأن الفلاحين الذين يحسنون صناعة التأبير أفضل من الانبياء في ذلك؟ نعم ما قنع بذلك حتى قل: فما يلزم الكمال أن يكون له التقديم في كل علم وكل مرتبة، وانما نظر الرجال الى التقدم في مرتبة العلم بالله، هنالك مطلبهم —

فقد زعم انه أعلم بالله من خاتم الانبياء، وان تقدمه عليه بالعلم بالله، وتقدم خاتم الانبياء عليه بالتشريع فقط. وهذا من أعظم الكفر الذي يقع فيه غالبية المتفلسفة

وغالية المتصوفة وغالية المتكلمة الذين يزعمون انهم في الامور العلمية أكمل من الرسل، كاعلم بالله ونحو ذلك، وان الرسل انما تقدموا عليهم بالتشريع العام الذي جعل لصالح الناس في دنياهم. وقد يقولون ان الشرائع قوانين عدلية وضعت لمصلحة الدنيا، فأما المعارف والحقائق والدرجات العالية في الدنيا والآخرة فيفضلون فيها أنفسهم وطرقهم على الانبياء وطرق الانبياء

وقد علم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا من أعظم الكفر والضلال، وكان من سبب جحد حقائق ما أخبرت به الرسل من أمر الايمان بالله واليوم الآخر وزعمهم ان ما يقولونه هؤلاء في هذا الباب هو الحق وصاروا في أخبار الرسل، تارة يكذبونها، وتارة يحرفونها، وتارة يفوضونها، وتارة يزعمون أن الرسل كذبوا لمصلحة العموم. ثم عامة الذين يقولون هذه المقالات يفضلون الانبياء والرسل على أنفسهم الا الغالية منهم كما تقدم، فهؤلاء من شر الناس قولاً واعتقاداً

وقد كان عندهم شيخ من أجهل الناس كان يعظمه طائفة من الاعاجم ويقال انه خاتم الاوليا، يزعم انه يفسر العلم بوجهين، وان النبي ﷺ انما فسر به بوجه واحد وانه هو أكمل من النبي ﷺ وهذا تلقاء من صاحب الفصوص وأمثال هذا في هذه الاوقات كثير، وسبب ضلال المتفلسفة وأهل التصوف والكلام الموافقة لضلالهم، وليس هذا موضع الاطناب في بيان ضلال هذا وانما الغرض التنبيه على ان صاحب الفصوص وأمثاله قالوا قول هؤلاء

فأما كفر من يفضل نفسه على النبي ﷺ كما ذكر صاحب الفصوص فظاهر ولكن من هؤلاء من لا يرى ذلك ولكن يرى ان له طريقاً الى الله غير اتباع الرسول، ويسوغ لنفسه اتباع تلك الطريق وان خالف شرع الرسول، ويحتجون بقصة موسى والخضر

ولا حجة فيها الوجهين (أحدهما) ان موسى لم يكن مبعوثاً الى الخضر ولا

كان يجب على الخضر اتباع موسى، فان موسى، كان مبعوثاً الى بني اسرائيل واهذا جاء في الحديث الصحيح « ان موسى لما سلم على الخضر قال واني بأرضك السلام ؟ قال أنا موسى، قل: موسى بني اسرائيل ؟ قال نعم، قال انك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه . وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه » ولهذا قال نبينا ﷺ « فضلنا على الناس بخمس : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، فأى رجل أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ^(١) » وقد قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقال تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً) الآية

فمحمد ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين : إنسهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، ملوكهم وزهادهم ، الأولياء منهم وغير الأولياء . فليس لأحد الخروج عن مبايعته باطنا وظاهراً ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ولا الاعمال ، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى ، وأما موسى فلم يكن مبعوثاً إلى الخضر

(الثاني) ان قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الامور التي فعلها تباح في الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان مخالفاً لشريعته لم يوافق به بحال .

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع . فن خرق السفينة مضمونه ان المال المعصوم يجوز للانسان أن يحفظه لصاحبه باتلاف بعضه فن ذلك خير من ذهابه بالكلية كما جاز للراعي على عهد النبي ﷺ أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت . وقصة الغلام مضمونها جواز قتل الصبي الصائل ، ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فان كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا تقتلهم . وأما إقامة الجدار

(١) لم يذكر الخامسة ، وفي بعض الاحاديث هي « ونصرت بالرعب مسيرة شهر »

ففيها فعل المعروف بلا أجره مع الحاجة إذا كان لذرية قوم صالحين

(الوجه الثامن) أنه قال: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط الى آخر كلامه وهو متضمن ان العلم نوعان (أحدهما) علم الشريعة وهو يأخذه عن الله كما يأخذ النبي فانه قال والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الاحكام كما هو أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لانه يرى الامر على ما هو عليه فلا بد ان يراه هكذا ،

وهذا الذي زعمه من ان الولي يأخذ عن الله في السر ما يتبع فيه الرسل كأئمة العلماء مع أتباعهم ، فيه من الاتحاد ما لا يخفى على من يؤمن بالله ورسوله ، فان هذا يدعي انه أوتي مثل ما أوتي رسل الله ، ويقول انه أوحى إلي ولم يوح اليه شيء ، ويجعل الرسل بمنزلة معلمي الطب والحساب والنحو وغير ذلك إذا عرف المتعلم الدليل الذي قال به معامه فينبغي موافقته لمشاركتة له في العلم لانه رسول وواسطة من الله اليه في تبليغ الامر والنهي . وهذا الكفر يشبه كفر مسيلة الكذاب ونحوه ممن يدعي انه مشارك للرسول في الرسالة ، و كان يقول مؤذنه أشهد أن محمداً ومسيمة رسول الله (والنوع الثاني) علم الحقيقة وهو فيه فوق الرسول كما قال هو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فانه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول ، فقد ادعى ان هذا العلم الذي هو موضع اللبنة الذهبية وهو علم الباطن والحقيقة هو فيه فوق الرسول لانه يأخذه من حيث يأخذ الملك العلم الذي يوحى به إلى الرسول ، والرسول يأخذه من الملك ، وهو أخذ من فوق الملك ، من حيث يأخذه الملك ، وهذا فوق دعوى مسيلة الكذاب ، فان مسيلة لم يدع انه أعلا من الرسول في علم من العلوم الالهية ، وهذا ادعى انه فوقه في العلم بالله

ثم قال : فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع . ومعلوم ان هذا المكفر فوق كفر اليهود والنصارى فان اليهود والنصارى لا يرضى أن يجعل أحداً من المؤمنين فوق موسى وعيسى ، وهذا يزعم هو وأمثاله ممن يدعي انه خاتم الاولياء انه فوق جميع الرسل ، وأعلم بالله من جميع الرسل ، وعقلاء الفلاسفة لا يرضون بهذا وإنما يقول مثل هذا غلاتهم وأهل الحق منهم الذين هم من أبعد الناس عن العقل والدين

* * *

(التاسع) قوله : فكل نبي من لدن آدم - إلى آخر الفصل - تضمن أن جميع الانبياء والرسل لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم النبيين ، ليوطن نفسه بذلك أن جميع الانبياء لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، وكلاهما ضلال ، فان الرسل ليس منهم من يأخذ من آخر إلا من كان مأموراً باتباع شريعته كأنياء بني اسرائيل والرسل الذين فيهم الذين أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) الآية

وأما ابراهيم فلم يأخذ عن موسى وعيسى ، ونوح لم يأخذ عن ابراهيم ، ونوح و ابراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد وان بشروا به وآمنوا به كما قال تعالى (واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ، ولئن بعث وهم أحياء لينصرونه

* *

(العاشر) قوله : فان تحقيقه موجود ، وهو قوله « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » بخلاف غيره من الانبياء ، وكذلك خاتم الاولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين . - كذب واضح مخالف لاجماع أئمة الدين ، وإن كان هذا يقوله طائفة من أهل الضلال والاحاد ، فان الله علم الاشياء وقدرها قبل أن يكونها .

ولا تكون موجودة بحقائقها إلا حين توجد ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم، ولم تكن حقيقة ﷺ موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها، لكن كان ظهور خبره وسمه مشهوراً أعظم من غيره فإنه كان مكتوباً في التوراة والإنجيل وقبل ذلك، كما روى الامام أحمد في مسنده عن العراب بن سارية، عن النبي ﷺ قال «إني لعبد الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي، رأيت حين ولدني كأنها خرج منها نوراً ضاءت له قصور الشام» وحديث ميسرة الفجر: قلت يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ وفي لفظ متى كتبت نبياً؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وهذا لفظ الحديث

وأما قوله «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فلا أصل له، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل، فإنه لا يمكن بين الماء والطين إذ الطين ماء وتراب، ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد ﷺ وقدرها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إن خلق آدم كجمل في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح» وروي أنه كتب اسمه على ساق العرش ومصاريع الجنة (١) فإين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة؟ وما يروي في هذا الباب من الاحاديث هو من هذا الجنس مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطالع في السماء ونحو ذلك كما ذكره ابن حمويه صاحب ابن عربي وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين وابن سبعين وأمثالهم ممن يروي الموضوعات (١) أشار بقوله «يروي» إلى أن هذا ضعيف غير صحيح كالذي قبله وأما «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فإنه باطل ودرواية ومعني

المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث . فان هذا المعنى رووا فيه أحاديث كلها كذب حتى انه اجتمع بي قديما شيخ معظم من أصحاب ابن حمويه يسميه أصحابه سلطان الاقطاب وتفاوضنا في كتاب الفصوص وكان معظما له ولصاحبه حتى أبديت له بعض ما فيه فباله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه الاحاديث فينت له أن هذا كله كذب .



(الحادي عشر) قوله : وخاتم الولاية كان ولياً وآدم بين الماء والطين - الى قوله - فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية كنسبة الاولياء والرسل معه - الى آخر الكلام - ذكر فيه ما تقدم من كون رسول الله ﷺ مع هذا الختم المدعى كسائر الانبياء والرسل معه يأخذ من مشكاته العلم بالله الذي هو أعلا العلم وهو وحدة الوجود انه مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة . فمعين حالا خاصا ما عجم - الى قوله - ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص اهفكذب على رسول الله ﷺ في قوله : انه قال : سيد ولد آدم في الشفاعة فقط لا في بقية المراتب » بخلاف الختم المفترى فانه سيد في العلم بالله وغير ذلك من المقامات ولقد كنت أقول : لو كان المخاطب لنا ممن يفضل ابراهيم أو موسى أو عيسى على محمد ﷺ لكانت مصيبة عظيمة لا يحملها المسلمون فكيف بمن يفضل رجلا من أمة محمد على محمد وعلى جميع الانبياء والرسل في أفضل العلوم ويدعي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته ؟ وهذا العلم هو غاية الاحاد والزندقة . وهذا المفضل من أضل بني آدم وأبعدهم عن الصراط المستقيم ، وان كان له كلام كثير ومصنفات متعددة ، وله معرفة بأشياء كثيرة ، وله استحواذ على قلوب طوائف من أصناف المتفلسفة والمتصوفة والمتكلمة والمتنقة والعامية ، فان هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالا عند أهل الكلام والايمان والله أعلم .

*
* *

وقد تبين ان في هذا الكلام من الكفر والتنقيص بالرسل والاستخفاف بهم والفض منهم والكفر بهم وبما جاؤا به مالا يخفى على مؤمن ، وقد حدثني أحد أعيان الفضلاء انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري رحمة الله عليه يقول : رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله . ولقد صدق فيما قال ، ولكن هذا بعض الانواع التي ذكرها من الكفر ، وكذلك قول أبي محمد بن عبد السلام : هو شيخ سوء مقبوح كذاب يقول بقدوم العالم ولا يحرم فرجا - هو حق عنه لكنه بعض أنواع ما ذكره من الكفر ، فان قوله لم يكن قد تبين له حاله وتحقق ، وإلا فليس عنده رب وعالم كما تقول الفلاسفة الالهيون الذين يقولون بواجب الوجود ، وبالعالم الممكن الوجود بل عنده وجود العالم هو وجود الله ، وهذا يطابق قول الدهرية الطبايعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقا ولا يقرون بوجود واجب غير العالم كما ذكر الله عن فرعون وذويه ، وقوله مطابق لقول فرعون ، انكن فرعون لم يكن مقرا بالله وهؤلاء يقرون بالله ، ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون ، فهم أجهل من فرعون وأضل ، وفرعون أكفر منهم ، في كفره من العناد والاستكبار ما ليس في كفرهم ، كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال له موسى (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر) وجماع أمر صاحب الفصوص وذويه هدم أصول الايمان الثلاثة فان أصول الايمان : الايمان بالله والايمان برسله والايمان باليوم الآخر . فأما الايمان بالله فزعموا ان وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالم ، وأما الرسول فزعموا انهم أعلم بالله منه ومن جميع الرسل ، ومنهم من يأخذ العلم بالله الذي هو التعطيل ووحدة الوجود : من مشكاته ، وانهم يساوونه في أخذ العلم بالشرعية عن الله . وأما الايمان باليوم الآخر فقد قل :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وبالوعيد الحق عين تعالين
وان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم يباين
وهذا يذكر عن بعض أهل الضلال قبله انه قال : ان النار تصير لاهلها
طبيعة نارية يتمتعون بها ، وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب لانه امر
مستعذب ثم انه في الامر والنهي عنده الامر والماهي والمأمور والمنهي واحد ،
ولهذا كان أول ما قاله في الفتوحات المكية التي هي أكبر كتبه :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب أي يكلف ؟

وفي موضع آخر فذاك ميت ، رأيت بخطه

وهذا مبني على أصله فان عنده ما هم عبد ولا وجود الا وجود الرب فمن المكلف ؟
وعلى أصله هو المكلف كما يقولون ارسل من نفسه الى نفسه رسولا ، وكما قال ابن
الفارض في قصيدته التي نظمها على مذهبهم ومماها نظم السلوك :
إليّ رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلّت
ومضمونها هو القول بوحدة الوجود ومذهب ابن عربي وابن سبعين
وامثالهم كما قال :

لها صلاتي بالمقام اقيمها وأشهد فيها انها لي صلت

كلانا مصّل عابد ساجد الى حقيقة الجمع في كل سجدة (١)

وما كان لي صلى سواي فلم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

الى قوله :

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحببت

ومثل هذا كثير والله اعلم .

(١) البيت في ديوانه الذي بين الايدي هكذا :

كلانا مصّل واحد ناظر الى حقيقة الجمع في كل سجدة

وحدثني صاحبنا الفقيه الصوفي أبو الحسن علي بن قرباص انه دخل على الشيخ قطب الدين بن اقسطلاني فوجده يصنف كتابا فقال : ماهذا ؟ فقال هذا في الرد على ابن سبعين وابن الفارض وابي الحسن الجرجي والعفيف التلمساني ، وحدثني عن جمال الدين بن واصل وشمس الدين الاصبهاني انهما كانا ينكران كلام ابن عربي ويبطلانه ويردان عليه وان الاصبهاني رأى معه كتابا من كتبه فقال : ان اقتنيت شيئا من كتبه فلا تجيء إلي ، او ماهذا معناه . وان ابن واصل لما ذكر كلامه في التفاخرة التي انقلبت عن جوار معلم معها فقال : والله الذي لا إله الا هو يكذب . ولقد بر في يمينه .

وحدثني صاحبنا الفاضل أبو بكر بن سالار عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد شيخ وقته عن الامام ابي محمد بن عبدالسلام انهم سألوه عن ابن عربي ، لما دخل مصر ، فقال : شيخ سوء مقبوح يقول بقدوم العالم ولا يحرم فرجا ، وكان تقي الدين يقول : هو صاحب خيال واسع . حدثني بذلك غير واحد من الفقهاء ممن سمع كلام ابن دقيق العيد . وحدثني ابن بجير عن رشيد الدين سعيد وغيره انه قال : كان يستحل الكذب ، هذا احسن احواله ، وحدثني الشيخ العالم العارف بكل الدين المراغي شيخ زمانه انه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئا فرأيت مخالفا للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كاه شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد ، قال فقلت له : ما الفرق عندكم بين الزوجة والاجنبية والاخت والكل واحد ؟ قال لا فرق بين ذلك عندنا وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما فقلنا هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فمأثم حرام

وحدثني كمال الدين بن المراغي انه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب قل : وكنت أقرأ عليه في ذلك فانهم كانوا قد عظموه عندنا ونحن مشتاقون

إلى معرفة فصوص الحكم فلما صار يشرحه لي اقول هذا خلاف القرآن والاحاديث، فقال ارم هذا كله خلف الباب واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد — او كما قال — ثم خاف ان اشيع ذلك عنه فجاء الي با كياً وقال استر عني ماسمعه مني وحدثني ايضاً كمال الدين انه اجتمع بالشيخ ابي العباس الشاذلي تلميذ الشيخ ابي الحسن فقال عن التماسي: هؤلاء كفار هؤلاء يعتقدون ان الصنعة هي الصانع، قال وكنت قد عزمت على ان ادخل الخلوة على يده فقلت أنا لا آخذ عنه هذا وانما اتعلم منه ادب الخلوة، فقال لي: مثلك مثل من يريد ان يتقرب الى السلطان على يد صاحب الاتون والزبال فاذا كان الزبال هو الذي يقربه الى السلطان كيف يكون حاله عند السلطان؟

وحدثنا ايضاً قال قال لي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد انما استولت النار على بلاد المشرق لظهور الفلسفة فيهم وضعف الشريعة، فقلت له ففي بلادكم مذهب هؤلاء الذين يقولون بالاتحاد وهو شر من مذهب الفلاسفة؟ فقال قول هؤلاء لا يتوله عاقل بل كل عاقل يعلم فساد قول هؤلاء — يعني ان فساد ظاهر فلا يذكر هذا فيما يشتهبه على العقلاء بخلاف مقالة الفلاسفة فان فيها شيئاً من المعقول وان كانت فاسدة

وحدثني تاج الدين الانباري الفقيه المصري الفاضل انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت ابن عربي شيخاً مخضوب اللحية وهو شيخ نجس يكفر بكل كتاب انزله الله، وكل نبي ارسله الله. وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم انه قال كنت وأنا شاب بدمشق اسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسر وشاهي ان كلاهما زنديق — او كلاماً هذا معناه — وحدثني عن الشيخ ابراهيم الجعبري انه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد:

إن كان منزلي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمناً واليوم احسبها اصفاً احلام

وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين الزنباري انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت في منامي ابن عربي وابن الفارض وهما شيخان اعميان يمشيان ويتعثران ويقولان: كيف الطريق؟ ابن الطريق؟ وحدثني شهاب الدين المزي عن شرف الدين بن الشيخ نجم الدين بن الحكيم عن ابيه انه قال قدمت دمشق فصادفت موت ابن عربي فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد فرأيتها لا تشبه جناز الاولياء — اوقال — فعلمت ان هذا ، وعن ابيه عن الشيخ اسماعيل الكوراني انه كان يقول ابن عربي شيطان ، وعنه انه كان يقول عن الحريري انه شيطان ، وحدثني شهاب الدين عن القاضي شرف الدين البازيلي ان اياه كان ينهاء عن كلام ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين

فصل

في بعض ما يظهر به كفرهم ، وفساد قولهم . وذلك من وجوه (أحدها) ان حقيقة قولهم : ان الله لم يخلق شيئاً ولا ابتدعه ولا برأه ولا صورته ، لانه اذا لم يكن وجود إلا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقاً لوجود نفسه ، أو بارئاً لذاته ، فان العلم بذلك من أبين العلوم وأبدها للعقول ان الشيء لا يخلق نفسه ، ولهذا قال سبحانه (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) فانهم يعلمون انهم لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ، ويعلمون أن الشيء لا يخلق نفسه فتعين ان لهم خالقاً ، وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية انه ما من شيء . يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ، ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مبروءة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك في بدائه العقول ، وذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل ، واما على رأي صاحب الفصوص فانهم إلا وجوده والذوات الثابتة في العدم الغنية عنه ، ووجوده لا يكون مخلوقاً والذوات غنية عنه فلم يخلق الله شيئاً

(الثاني) ان عندهم ان الله ليس رب العالمين ولا مالك الملك اولى الوجود وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك ، وقد صرحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقلوا انه هو ملك الملك ، بناء على ان وجوده مفتقر إلى ذوات الاشياء ، وذوات الاشياء مفتقرة إلى وجوده ، فالاشياء مالكة لوجوده ، فهو ملك الملك

(الثالث) ان عندهم ان الله لم يرزق أحداً شيئاً ، ولا أعطى أحداً شيئاً ، ولا رحم أحداً ، ولا أحسن الى احد ، ولا هدى احداً ، ولا انعم على احد نعمة ، ولا علم احداً علماً ولا علم احداً البيان ، وعندهم في الجملة لم يصل منه الى احد لا خير ولا شر ، ولا نفع ولا ضرر ، ولا عطاء ولا منع ، ولا هدى ولا اضلال أصلاً . وان هذه الاشياء جميعها عين نفسه ومحض وجوده . فليس هناك غير يصل اليه ، ولا أحد سواه ينتفع بها ، ولا عبد يكون مرزوق أو منصوراً أو مهدياً

ثم على رأي صاحب الفصوص ان هذه الذوات ثابتة في العدم ، والذوات هي احسنت واساءت ، ونفعت وضرت ، وهذا عنده سر القدر . وعلى رأي الباقرين ما تم ذات ثابتة غيره أصلاً ، بل هو ذام نفسه بنفسه ، ولا عن نفسه بنفسه ، وهو المرزوق المضروب المشتوم ، وهو الناكح والمنكوح والآكل والمأكل ، وقد صرحوا بذلك تصريحاً بيناً

(الرابع) ان عندهم أن الله هو الذي يركع ويسجد ويخضع ويعبد ويصوم ويحج ويقيم وينام . وتصيبه الامراض والاسقام وتبتليه الاعداء ويصيبه البلاء وتشته به اللاواء ، وقد صرحوا بذلك وصرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فانه هو الذي يصيبه . وانه اذا نفس الكرب فانما يتنفس عنه ، ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من الكفر خالق الله واعظمهم نفاقاً والحاداً وعتواً على الله وعناداً أن يصبر الا انه ان على البلاء لان عندهم هو المصاب المبتلى . وقد صرحوا بأنه

موصوف بكل نقص وعيب فانه ما ثم من يتصف بالنقاىص والعيوب غيره . فكل عيب ونقص وكفر وفسوق في العالم فانه هو المتصف به لامتصف به غيره . كلهم متفقون على هذا في الوجود

ثم صاحب الفصوص يقول : ان ذلك ثابت في العدم ، وغيره يقول ما ثم سوى وجود الحق الذي هو متصف بهذه المعايير والمثالب

(الخامس) ان عندهم ان الذين عبدوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والذين عبدوا ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسراً . والذين عبدوا الشمرى والنجم والشمس والقمر والذين عبدوا المسيح وعزيراً والملائكة وسائر من عبد الاوثان والاصنام : قوم نوح وعاد ونمود وقوم فرعون وبني اسرائيل وسائر المشركين والعرب ما عبدوا إلا الله . ولا يتصور ان يعبدوا غير الله ، وقد صرحوا بذلك في مواضع كثيرة مثل قول صاحب الفصوص في فص الكلمة النوحية :

(ومكروا مكرآ كبرآ) لان الدعوة إلى الله مكر بالمدعو ، لانه ماعدم من البداية فيدعي الى الغاية (ادعوا الى الله) هنا عدة المكر (على بصيرة) ففيه أن الامر له كله فأجابوه مكرآ كما دعاهم - إلى إن قال - فقالوا في مكرهم (لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فان الحق في كل معبود وجهاً خاصاً يعرفه من عرفه ويجهله من جهله في الحمددين (وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه) أي حكم فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد وأن التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالتقوى المعنوية في الصورة الروحانية . فما عبد غير الله في كل معبود . فالأدنى من تخيل فيه الألوهية . فلولا هذا التخييل ما عبد الحجر ولا غيره . ولهذا قال تعالى (قل سموهم) فلو سموهم لسموهم حجراً وشجراً وكوكباً . ولو قيل من عبدتم لقالوا إلهاً واحداً كما كانوا يقولون الله ولا الآلهة ، والاعلى ماتخيل بل

قال هذا مجلى إلهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر. فالأدنى صاحب التخيل يقول: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والاعلى العالم يقول (إنه إلهكم إله واحد فله اساموا) حيث ظهر (وبشر المحبتين الذين) خبت نار طبيعتهم فقالوا «إلهها» ولم يقولوا «طبيعة» وقال أيضا في فص الهارونية: ثم قال هارون لموسى (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) فتجعلني سبباً في تفرقةهم، فان عبادة العجل فرقت بينهم، وكان فيهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى اليهم فيسألونه في ذلك، فخشى هارون أن ينسب ذلك التفرق اليه، فكان موسى أعلم بالامر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله بشي إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في انكاره وعدم اتساعه، فان العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء، فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن، ولذلك لما قل له هارون ما قال رجع إلى السامري فقال (فما خطبك ياسامري) يعني فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص. وساق الكلام إلى أن قال. فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن تنفذ في أصحاب العجل بالتسلط على العجل كما سلط موسى عليه - حكمة من الله ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالالوهية، ولهذا ما بقى نوع من الانواع إلا وعبد، اما عبادة تأله، واما عبادة تسخير، ولا بد لمن ذلك لمن عقل، وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه. ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثير الدرجات في عين واحدة فانه قضى أن لا يعبد إلا إياه في درجات له كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهيا عبد فيها وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال (أفرايت من اتخذ إلهه

هواه) فهو أعظم معبود، فإنه لا يعبد شيء إلا به ولا يعبد هو إلا بذاته. وفيه أقول :
 وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى
 ألا ترى علم الله بالاشياء ما أكله كيف تم في حق من عبد هواه واتخذها إلهاً
 فقال (وأضله الله على علم) والضلالة الخيرة ، وذلك انه لما رأى هذا العابد ما عبد
 إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمر به من عبادة من عبده من الاشخاص ، حتى
 إن عبادة الله كانت عن هوى أيضاً فإنه لو لم يقع له في ذلك الجنب المقدس هوى
 وهو لارادة بمحبة ما عبد الله ولا أثره على غيره ، وكذلك كل من عبد صورة
 من صور العالم واتخذها إلهاً ما اتخذها إلا بالهوى ، فالعابد لا يزل تحت سلطان
 هواه ثم رأى المعبودات تتنوع في العابدین وكل عابد امراً ما يكفر من يعبد
 سواه ، والذي عنده أدنى تنبها لا يحار لاتحاد الهوى بل لاحدية الهوى كما ذكر فإنه عين
 واحدة في كل عابد (فأضله الله) أي حيره على علم بأن كل عابد ما عبد إلا هواه ،
 ولا استعبده إلا هواه ، سواء صادف الامر المشروع أو لم يصادف ، والعارف المكمل
 من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه . ولذلك سموه كلهم انه مع اسمه الخاص شجر
 أو حجر أو حيوان أو انسان أو كوكب أو ملك هذا اسم الشخصية فيه والالوهية
 مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده وهي على الحقيقة مجلى الحق ابصر هذا العابد
 المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص بحجر ولهذا قال بعض من لم يعرف
 مقامه جهالة (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زانق) مع تسميتهم إياهم آلهة ، كما قالوا
 (اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجيب) فما انكروه بل تعجبوا من ذلك فانهم
 وقفوا على كثرة الصور ونسبة الالوهية لها ، فجاء الرسول ودعاهم الى الواحد يعرف ،
 ولا يشهد ايضاً بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه في قولهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا
 الى الله زانق) لعلمهم بأن تلك الصور حجارة ، ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله
 (قل سموهم) فإسمونهم إلا بما يعلمون أن تلك الاسماء لهم حقيقة . كحجر وخشب وكوكب .

وأمثالها، وأما العارفون بالأمر على ما هو عليه، فيظهرون صورة الانكار لما عبد من الصور لأن مرتبتهم في العلم تعطيه أن يكونوا بحكم الوقت لحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم الذي به سمو المؤمنين، فهم عباد الوقت، مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها وإنما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم، وجهله المنكر الذي لا علم له بما يتجلى. وسره العارف المكمل من نبي أو رسول أو وارت عنهم، فأمرهم بالانتزاع عن تلك الصور لما انتزع عنها رسول الوقت اتباعاً للرسول طمعاً في محبة الله إياهم بقوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فدعا إلى إله يصمد إليه ويعلم من حيث الجلالة ولا يشهد ولا تدركه الابصار، بل هو يدرك الابصار للطفه وسريانه في أعيان الاشياء، فلا تدركه الابصار كما انها لا تدرك ارواحها المدبرة أشباحها، وصورها الظاهرة، فهو اللطيف الخبير، والخبرة ذوق، والذوق تجلي والتجلي في الصور، فلا بد منها ولا بد منه، فلا بد أن يعبد من رآه بهواه. ان فهمت هذا اه

فتدبر حقيقة ما عليه هؤلاء فانهم أجمعوا على كل شرك في العالم وعدلوا بالله كل مخلوق وجوزوا ان يعبد كل شيء ومع كونهم يعبدون كل شيء فيقولون ما عبدنا إلا الله، فاجتمع في قولهم أمران: كل شرك، وكل جحود وتعطيل مع ظنهم انهم ما عبدوا إلا الله، ومعلوم أن هذا خلاف دين الرسلين كلهم وخلاف دين أهل الكتاب كلهم، والمثل كلها، بل وخلاف دين المشركين أيضاً وخلاف ما فطر الله عليه عباده مما يعقلونه بقلوبهم ويجدونه في نفوسهم، وهو في غاية الفساد وانتناقض والسفسطة والجحود لرب العالمين

وذلك انه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يعملون ما عبده المشركون غير الله، ويعملون عابده عابد الغير الله مشركاً بالله عادلاً به جاعلاً له ندا. فانهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به

رسله وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من الاولين والآخرين غيره، ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والاشقياء كما قال النبي ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحاً وهي رأس الدين » وكذا قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فإذا قولها عصمو أمني دمانهم وأموأهم إلا بحقه وحسابهم على الله » وفضائل هذه الكلمة وحمايقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون ، وهي حقيقة الأمر كله كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) فأخبر سبحانه أنه يوحى إلى كل رسول بنفي الألوهية عما سواه وإثباتها له وحده . وزعم هؤلاء الملاحدة المشركون أن كل شيء يستحق الألوهية كاستحقاق الله لها ، وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وزعم هؤلاء الملاحدة أن كل شيء فإنه إله معبود فأخبر سبحانه أنه لم يجعل من دون الرحمن آلهة . وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فأمر الله سبحانه بعبادته واجتناب الطاغوت . وعند هؤلاء : أن الطواغيت جميعها فيها الله أو هي الله ومن عبدها فما عبد إلا الله . وقال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) الآيتين وأمر سبحانه بعبادة الرب الخالق لهذه الآيات . وعند هؤلاء الملاحدة الملائعين هو عين هذه الآيات . ونهى سبحانه أن يجعل الناس له أنداداً وعندهم هذا لا يتصور فإن الانداد هي عينه فكيف يكون ندّاً لنفسه؟ والذين عبدوا الانداد فما عبدوا سواه

ثم إن هؤلاء الملاحدة احتجوا بتسمية المشركين لما عبدوه إلهاً كما قال

(أجعل الآلهة إلها واحداً؟) واعتقدوا أنهم لما سموهم آلهة كانت تسمية المشركين دليلاً على أن الهية الله لهم. وهذه الحجة قد ردها الله على المشركين في غير موضع كقوله سبحانه عن هود في مخاطبته للمشركين من قومه (أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) الآية هذا رداً لقولهم (أجئتنا لعباد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) فأخبر رسول الله ﷺ أن تسميتهم إياها آلهة ومعبودين تسمية ابتدعوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من حجة ولا سلطان، والحكم ليس إلا لله وحده، وقد أمر هو سبحانه أن لا يعبد إلا إياه، فكيف يحتاج بقول مشركين لا حجة لهم؟ وقد أبطل الله قولهم؟ وأمر الخلق أن لا يعبدوا إلا إياه دون هذه الاوثان التي سماها المشركون آلهة، وعند الملاحدة عابدوا الاوثان ما عبدوا إلا الله ثم ان المشركين أنكروا على الرسول حيث جاءهم ليعبدوا الله وحده ويندروا ما كان يعبد آباؤهم، فإذا كانوا هم ما زالوا يعبدون الله وحده كما زعمه الملاحدة، فلم يدعو إلى ترك ما يعبد آباؤهم هو وغيره من الانبياء؟ وكذلك قال سبحانه في سورة يوسف عنه (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. — إلى قوله — ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقال سبحانه (أفأنتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى — إلى قوله — ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وهذه الثلاثة المذكورة في هذه السورة هي الاوثان العظام الكبار التي كان المشركون ينتابونها من أمصارهم، فاللات كانت حذو قديد بالساحل لأهل المدينة والعزى كانت قريبة من عرفات لأهل مكة، ومناة كانت بالطائف لتقيف، وهذه الثلاثة هي أمصار أرض الحجاز

أخبر سبحانه أن الاسماء التي سماها المشركون أسماء ابتدعوها لا حقيقة لها، فهم إنما يعبدون أسماء لا مسخيات لها، لانه ليس في المسمى من الألوهية وبلا العزة.

ولا التقدير شيء، ولم ينزل الله سلطانا بهذه الاسماء، إن يتبع المشركون الاظنا
لا يغني من الحق شيئا في أنها آلهة تنفع وتضر ويتبعوا أهواء انفسهم. وعند
الملاحدة انهم اذا عبدوا أهواءهم فقد عبدوا الله، وقد قال سبحانه عن امام
الائمة و خليل الرحمن وخير البرية بعد محمد ﷺ انه قال لأبيه (يا أبت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا* يا أبت اني قد جاءني من العلم ما يأتك
— الى قواه — فتكون للشيطان ولياً) فنهاه وأنكر عليه ان يعبد الاوثان التي
لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئا

وعلى زعم هؤلاء الملحدين فما عبدوا غير الله في كل معبود فيكون الله هو
الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا وهو الذي نهاه عن عبادته وهو الذي
أمره بعبادته. وهكذا قال احنق طواغيتهم الفاجر التلمساني في قصيدته له :

يا عاذلي انت تنهاني وتأمرني والوجد اصدق نهاء وأمار
فان اطعك وأعص الوجد عذرني عني عن العيان الى اوهام اخبار
وعين ما أنت تدعوني اليه اذا حقيقته تره المنهي يا جاري

وقد قال ايضا ابراهيم لأبيه (يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان
للمرحم عصيا) وعندهم ان الشيطان مجلى الهى ينبغي تعظيمه ومن عبده فما عبد
غير الله، وليس الشيطان غير الرحمن حتى نعصيه، وقد قال سبحانه (ألم أعهد اليكم يا بني
آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم
— الى قوله — يعقلون) فنهاهم عن عبادة الشيطان وأمرهم بعبادة الله سبحانه، وعندهم
عبادة الشيطان هي عبادته أيضا، فينبغي أن يعبد الشيطان وجميع الموجودات فانها عينه
وقال تعالى أيضا عن امام الخلائق خليل الرحمن انه لما (رأى كوكبا قال
هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الاقابن* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي، فلما

أفل قال لمن لم يهديني ربي لأكون من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة
 قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يدقون إني بريء مما تشركون* أي وجهت
 وجهي - إلى قوله - وهم مهتدون (وقال أيضا) (قد كانت لكم أسوة حسنة في
 ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم - إلى قوله - حتى تؤمنوا بالله
 وحده) وقال تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني بريء مما تعبدون إلا
 الذي فطرني) الآية. وقال تعالى (أفرأيتم ما كنتم تعبدون* أنتم وآباءكم
 الأقدمون - إلى قوله - إذ نسويكم برب العالمين) وقال تعالى (إذ قال لأبيه
 وقومه ما تعبدون؟ قالوا نعبداً أصناماً فينزل لها عاكفين - إلى قوله - قالوا حرقوه
 وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)

فهذا الخليل الذي جعله الله امام الأمة الذين يهتدون بأمره من الانبياء والمرسلين
 بعده وسائر المؤمنين قل (إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر
 السموات والأرض حنيفاً) وعند الملاحدة الذي أشركوه هو عين الحق ليس غيره،
 فكيف يتبرأ من الله الذي وجه وجهه اليه؟ وأحد الأمرين لازم على أصلهم إما أن
 يعبدوه في كل شيء من المظاهر بدون تقييد ولا اختصاص وهو حال المكمل عندهم فلا يتبرأ
 من شيء، وإما أن يعبدوه في بعض المظاهر كدفع الناقصين عندهم

وأما التبrier من بعض الموجودات فقد قل: ان قوم نوح لو تركوا ما تركوا من
 الحق بقدر ما تركوا من تلك الاوثان، والرسول قد تبرأت من الاوثان فقد تركت
 الرسل من الحق شيئاً كثيراً وتبرؤا من الله الذي دعوا الخاق اليه، والمشركون
 على زعمهم أحسن حالا من المرسلين، لان المشركين عبدوه في بعض المظاهر
 ولم يتبرؤا من سائرها، والرسول يتبرؤ من عامة المظاهر.

ثم قول ابراهيم (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) باطل على
 أصلهم، فانه لم يفطرها اذ هي ليست غيره، فما أجدرهم بقوله (ألم تر إلى الذين أتوا

نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبوت والطاغوت (الآية
ثم قول الخليل (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله)
الآية وهذه حجة الله التي آتاها ابراهيم على قومه بقوله : كيف أخاف ما عبدتموه
من دون الله ؟ وهي الخلقات المعبودة من دونه ، وعندهم ليست معبودة من دونه ،
ومن لم يقم بحقتها فلم يخف الله ، ولرسول لم يخفوا الله .
وقول الخليل (انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا) لم يصح عندهم فانهم لم
يشركوا بالله شيئا اذ ليس ثم غيره حتى يشركوا به ، بل المعبود الذي عبدوه هو الله
وأكثر ما فعلوه انهم عبدوه في بعض المظاهر وليس في هذا انهم جعلوا غيره
شريكا له في العبادة .

وقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) ورد في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود
قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينما يظلم
نفسه ؟ فقال النبي ﷺ « ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح (لا تشرك بالله ان
الشرك لظلم عظيم) » فقد أخبر الله ورسوله ان الشرك ظلم عظيم ، وان الامن هو
لمن آمن بالله ولم يخلط ايمانه بشرك ، وعلى زعم هؤلاء الملاحدة فإيمان الذين
خلطوا ايمانهم بشرك هو الايمان الكامل اتم ، وهو إيمان المحقق العارف عندهم ،
لان من آمن بالله في جميع مظاهره وعبدته في كل موجود هو أكمل ممن لم يؤمن
بالامر حيث لم يظهر ، ولم يعبدته الا من حيث لا يشهد ولا يعرف (١) وعندهم

(١) يعنون بهذا الايمان بالغيب الذي هو أساس دين الله في القرآن وسائر
الكتب الالهية . وهذا عندهم ادنى وانقص درجات الايمان بل هو عندهم باطل ،
إذ لا موجود عندهم غير هذه المظاهر ، فأكمل العبادة عبادتها أو عبادة ما سمي الاله
فيها كلها وهو هي ، ودون ذلك عبادته في بعضها كعبادة المسيح وغيره من البشر وعبادة
المجل والاصنام فكذلك كثرت المعبودات كانت العبادة أكمل ، ولا يسمى هذا
شركا عندهم لان هذه كلها وسائر الموجودات هي واحد في نفسه متعدد في مظاهره .

لا يتصور أن يوجد الا في المخلوق، فمن لم يعبد في شيء من المخلوقات أصلاً فما عبد في الحقيقة، وإذا أطلقوا أنه عبد فهو لفظ لا معنى له، أي إذا فسروا فيكون بالتخصيص بمعنى أنه خصص بعض المظاهر بالعبادة، وهذا عندهم نقص لأن جهة ما أشركه وعبد، وإنما هو من جهة ما تركه، فليس عندهم في الشرك ظلم ولا نقص الا من جهة قلته، والا فإذا كان الشرك عاماً كان أكمل وأفضل،

وكذلك أيضاً قول الخليل لقومه (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) تبرأ عندهم من الحق الذي ظهر فيهم وفي آلهتهم، وكذلك كفره به ومعاداته لهم كفر بالحق عندهم ومعاداة له.

ثم قوله (حتى تؤمنوا بالله وحده) كلام لا معنى له عندهم، ففهم كانوا مؤمنين بالله وحده، اذ لا يتصور عندهم غيره، وإنما غايتهم أنهم عبدوه في بعض المظاهر وتركوا بعضها من غير كفر به فيها، وكذلك سائر ما قصه عن ابراهيم من معاداته لما عبد، أولئك هو عندهم معاداة لله لأنه ما عبد غير الله كما زعم الملحدون محتجين بقوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه) قالوا: وما قضى الله شيئاً الا وقع. وهذا هو الالحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه، والكذب على الله، فإن «قضى» هنا ليست بمعنى القدر والتكوين باجماع المسلمين بل وباجماع العقلاء حتى يقال ما قدر الله شيئاً الا وقع، وإنما هي بمعنى أمر، وما أمر الله به فقد يكون وقد لا يكون. فتدبر هذا التحريف، وكذلك قوله ما حكم الله بشيء الا وقع كلام مجمل فإن الحكم يكون بمعنى الامر الديني وهو الاحكام الشرعية كقوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام) الآية، وقوله (ومن أحسن من الله حكماً) وقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) ويكون الحكم حكماً بالحق والتكوين والعقل كقوله (لن أبرح الارض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله لي) وقوله (قل رب احكم بالحق)

ولهذا كان بعض السلف يقرءون (ووصى ربك أن لا تعبدوا الا إياه) وذكروا أنها كذلك في بعض المصاحف ، ولهذا قال في سياق الكلام (وبالوالدين احسانا) الآية وساق أمره ووصاياه الى أن قال (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) فتم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ليس هو اخباراً انه ما عبد أحد الا الله وان الله قدر ذلك وكونه ، وكيف وقد قال (ولا تجعل مع الله إلها آخر) وعندهم ليس في الوجود شيء يجعل إلها آخر فأى شيء عبد فهو نفس الاله ليس آخر غيره ، ومثل معادة ابراهيم والمؤمنين لله على زعمهم حيث عادى العابدين والمعبودين وما عبد غير الله ، وما عبد الله غير الله ، فهو عين كل عابد وعين كل معبود وقوله تعالى (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وعلى زعمهم ماله عدو أصلاً ، وانه قائم غير ولا سوى بحيث يتصور أن يكون عدو نفسه او عدو الذوات التي لا يظهر الا بها

(السادس) ان عندهم ان دعوة العباد الى الله مكر بهم كما صرح به حيث قال : ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو فانه ما عدم من البداية فيدعى الى الغاية . وقال أيضا صاحب الفصوص (وبشر المحبتين) الذين خبت نار طبيعتهم فقالوا الها ولم يقولوا طبيعة (وقد أضلوا كثيرا) أي حيروهم في تعداد الواحد بالوجوه والنسب (ولا تزد الظالمين) لانفسهم المصطفين الذين أورتوا الكتاب فهم اول الثلاثة فقدمه على المقتصد والسابق (الا ضلالا) أي الاحيرة . وفي المحمدي زدني فيك تحييراً (كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا) له فالحيرة الدور والحركة الدورية حول القطب فلا تبرح منه ، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو فيه ، صاحب خيال اليه غايته ، فله « من » و « الى » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له فيلزمه « من » ولا غاية فتحكم عليه « الى » فله الوجود الانم وهو الماؤتى

جوامع الكلم اه

وقال بعض شعرائهم:

ما بال عينك لا يقر قرارها وإلام خطوك لا يني منتقلا
فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا إليك إذا بلغت المنزل

فعندهم الانسان هو غاية نفسه ، وهو معبود نفسه وليس وراءه شيء يعبدوه أو يقصدوه ، أو يدعوه أو يستجيب له ، ولهذا كان قولهم حقيقة قول فرعون ،

و كنت أقول لمن أخاطبه ان قولهم هو حقيقة قول فرعون حتى حدثني بعض من خاطبته في ذلك من الثقات العارفين : ان بعض كبارهم لمساعد هذا المحدث إلى مذهبهم وكشف له حقيقة سرهم قال : فقلت له هذا قول فرعون ، قال : نعم ، ونحن على قول فرعون ، فقلت له والحمد لله الذي اعترفوا بهذا ، فإنه مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بينة ، وقد جعل صاحب الطريق المستطيل صاحب خيال ، ومدح الحركة

المستديرة الخائرة ، والقرآن يأمر بالصراط المستقيم ويمدحه ويثني على أهله لا على المستدير . ففي أم الكتاب (اهدنا الصراط المستقيم) وقال (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) وقال (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتاً) الآيتين ^(١) وقال تعالى في موسى وهارون (وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم) وقال تعالى (وهذا صراط ربك مستقيما ، قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) وقال عن ابليس (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا آتينهم) الآية وقال تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) وهؤلاء الملحدون من أكابر متبعيه ، وأنه قعد لهم على صراط الله المستقيم فصد هم عنه حتى كفروا بربهم ، وآمنوا ان نفوسهم هي معبودهم وإلههم . وقال تعالى في حق خاتم الرسل (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله) الآية وأيضاً فان الله يقول (وردوا إلى الله مولاهم الحق) وقال تعالى (ان آيينا إياهم

(١) أي اقرأ الآيتين بعد هذه اذ آخرهما (وهديناهم صراط مستقيما)

ثم ان علينا حسابهم) وقال تعالى (إلى الله مرجعكم جميعاً) الآية وقال تعالى (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فلاقية) وهؤلاء عندهم ما ثم الا أنت ، وأنت من الآن مردود الى الله ، وما رأيت مردوداً اليه وليس هو شيء غيرك حتى ترد اليه أو ترجع اليه ، أو تكدمح اليه أو تلاقية ، ولهذا حدثونا أن ابن الفارض لما احتضر أشد يبتين :

إن كان منزلتي في الحب عندهم ما قد لقيت فقد ضيقت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنياً واليوم أحسبها أضغاث أحلام
وذلك انه كان يتوهم انه الله ، وانه ما ثم مرد اليه و مرجع اليه غير ما كان عليه ، فلما جاءته ملائكة الله تنزع روحه من جسمه ، وبداله من الله ما لم يكن يحسب ، تبين له أن ما كان عليه أضغاث أحلام من الشيطان

وكذلك حدثني بعض أصحابنا عن بعض من أعرفه وله اتصال بهؤلاء عن الفاجر التلمساني انه وقت الموت تغير واضطرب ، قال : دخلت عليه وقت الموت فوجدته يتأوه ، فقلت له : مم تتأوه ؟ فقال من خوف الفوت ، فقلت سبحان الله ، ومثلك يخاف الفوت وأنت تدخل الفقير إلى الخلوة فتوصله إلى الله في ثلاثة ايام ؟ فقال مامعناه : زال ذلك كله وما وجدت لذلك حقيقة

(الثامن) (١) أن عندهم من يدعي الالهية من البشر كفرعون والدجال المنتظر ، أو ادعيت فيه وهو من أولياء الله نبياً كال مسيح ، أو غير نبي كلي ، أو ليس من أولياء الله كالحاكم بمصر وغيرهم ، فانه عندهؤلاء الملاحدة المنافقين يصحح هذه الدعوى ، وقد صرح صاحب الفصوص ان هذه الدعوى كدعوى فرعون ، وهم كثيراً ما يعظمون فرعون فانه لم يتقدم لهم رأس في الكفر مثله ، ولا يأتي متأخر لهم مثل الدجال الاعور الكذاب ، وإذا نافقوا المؤمنين وأظهروا الايمان قالوا انه مات مؤمناً وانه لا يدخل النار ، وقالوا

ليس في القرآن ما يدل على دخوله النار. وأما في حقيقة أمرهم فما زال عندهم عارفاً بالله، بل هو الله، وليس عندهم نار فيها ألم أصلاً كما سذكروه إن شاء الله عنهم، ولكي يتفطن بهذا لكون البدع مظان النفاق، كما أن السنن شعائر الإيمان

قال صاحب الفصوص في فص الحكمة التي في الكلمة الموسوية لما تكلم على قوله (وما رب العالمين) «وهنا سر كبير فانه أجاب بالفعل لمن سأل عن الحد الذاتي فجعل الحد الذاتي عين اضافته إلى ما ظهر به من صور العالم أو ما ظهر فيه من صور العالم، فكأنه قال له في جواب قوله (وما رب العالمين) قال الذي يظهر فيه صور العالمين من علو وهو السماء وسفل وهو الأرض (إن كنتم موقنين) أو يظهر هو بها، فلما قال فرعون لأصحابه انه لمجنون كما قلنا في معنى كونه مجنوناً أي لمستور عنه علم مأسأته عنه أو لا يتصور أن يعلم أصلاً، زاد موسى في البيان ليعلم فرعون رتبته في العلم الإلهي لعله بأن فرعون يعلم ذلك فقال (رب المشرق والمغرب) فجاء بما يظهر ويستر وهو الظاهر والباطن (وما بينهما) وهو قوله «وهو بكل شيء عليم» (إن كنتم تعقلون) أي إن كنتم أصحاب تقييد فان العقل للتقييد «والجواب الأول جواب الموقنين وهم أهل الكشف والوجود، فقال له (إن كنتم موقنين) أي أهل كشف ووجود فقد أعلمتكم ما نية تنموني في كشفكم ووجودكم، فان لم تكونوا من هذا الصنف فقد أجبتكم بالجواب الثاني إن كنتم أهل عقل وتقييد وحصرتم الحق فيما تعطيه أدلة عقولكم، فظهر موسى بالوجهين ليعلم فرعون فضله وصدقه، وعلم موسى أن فرعون لكونه سأل عن ذلك من الماهية فعلم انه سؤاله ليس على اصطلاح القدماء في السؤال فلذلك أجاب فلو علم منه غير ذلك لخطأ في السؤال، فلما جعل موسى المسؤول عنه عين العالم خاطبه فرعون بهذا اللسان والقوم لا يشعرون فقال له (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) والسين من حروف الزوائد، أي لا سترتك فانك أجبت بما أيدتني به أن أقول مثل

هذا القول فان قاتلي بلسان الاشارة : فقد جهلت يا فرعون بوعيدك اياي والعين واحدة فكيف فرقت فيقول فرعون انما فرقت المراتب العين ما تفرقت العين ولا انقسمت في ذاتها، ومررتي الآن التحكم فيك يا موسى بالفعل، وانا انت بالعين، وأنا غيرك بالرتبة - وساق الكلام الى ان قال : ولما كان فرعون في منصب الحكم صاحب الوقت وانه الخليفة بالسيف وان جار في العرف الناموسي لذلك قال (أنا ربكم الاعلا) وان كان الكل أربابا بنسبة ما ، فأنا الاعلا منهم بما اعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لهم لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له (فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فالدولة لك فصح قوله (أنا ربكم الاعلا) وان كان عين الحق فالصورة لفرعون فقطع الايدي والارجل وصلب بعين حق في صورة باطل لنيل مراتب لا تنال الا بذلك الفعل فان الاسباب لا سبيل الى تعطيلها لان الاعيان الثابتة اقتضتها، فلا تظهر في الوجود الا بصورة ما هي عليه في الثبوت اذ لا تبديل لكلمات الله ، وليست كلمة الله سوى اعيان الموجودات»

فصل

ومن أعظم الاصول التي يعتمد عليها هؤلاء الاتحادية الملاحدة المدعون للتحقيق والعرفان ما يأترونه عن النبي ﷺ قال «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان» وهذه الزيادة وهو قوله «وهو الآن على ما عليه كان» كذب مقترى على رسول الله ﷺ اتفق أهل العلم بالحديث على إنه موضوع مخلق ، وليس هو في شيء من دواوين الحديث ، لا كبارها ولا صغارها . ولا رواه أحد من أهل العلم باسناد لا صحيح ولا ضعيف ، ولا باسناد مجهول ، وانما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخري متكلمي الجهمية . فتلقاه من هؤلاء الذين وصلوا إلى آخر النجهم

وهو التعطيل والاحاد ، ولكن أولئك قد يقولون : كان الله ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، فقال هؤلاء : كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان ، وقد عرف بأن هذا ليس من كلام النبي ﷺ أعلم هؤلاء بالاسلام ابن عربي فقال « ما لا بد للمريد منه وكذلك ، جاء في السنة « كان الله ولا شيء معه » قال : وزاد العلماء وهو الآن على ما عليه كان ، ولم يرجع اليه من خلقه العالم وصف لم يكن عليه ولا عالم موجود ، فاعتقد فيه من التنزيه مع وجود العالم ما يعتقده فيه ولا عالم ولا شيء سواه . » وهذا الذي قاله هو قول كثير من أهل القبله . ولو ثبت على هذا لكان قوله من جنس قول غيره لكنه متناقض ، ولهذا كان مقدم الاتحادية الفاجر التلمساني يرد عليه في مواضع يقرب فيها إلى المسلمين ، كما يرد عليه المسلمون المواضع التي خرج فيها إلى الاتحاد ، وانما الحديث المأثور عن النبي ﷺ ما أخرجه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ انه قال « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء » ثم خلق السموات والارض » وهذه الزيادة الاتحادية ، وهو قولهم : وهو الآن على ما عليه كان ، قصد بها المتكاملة المتجهمة نفى الصفات التي وصف بها نفسه من استوائه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا ، وغير ذلك فقالوا : كان في الازل ليس مستوياً على العرش ، وهو الآن على ما عليه كان ، فلا يكون على العرش لما يقتضي ذلك من التحول والتغير ، ويجيبهم أهل السنة والاثبات بجوابين (أحدهما) أن المتجدد نسبة إضافية بينه وبين العرش بمنزلة المعية ويسمى بها ابن عقيل الاحوال ، وتجدد النسب والاضافات متفق عليه بين جميع أهل الارض من المسلمين وغيرهم . إذ لا يقتضي ذلك تغيراً ولا استحالة (والثاني) ان ذلك وان اقتضى تحولا من حال إلى حال ، ومن شأن إلى شأن ، فهو مثل مجيئه وإتيانه ونزوله . وتكليمه لموسى وإتيانه يوم القيامة في صورة ونحو ذلك مما

دلت عليه النصوص. وقال به أكثر أهل السنة في الحديث. وكثير من أهل الكلام وهو لازم لسائر الفرق. وقد ذكرنا نزاع الناس في ذلك في قاعدة الفرق بين الصفات والمخلوقات والصفات الفعلية، وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فقالوا: وهو الآن على ما عليه كان، ليس معه غيره كما كان في الازل ولا شيء معه، قالوا: إذا كانت الكائنات ليست غيره ولا سواء، فليس إلا هو: فليس معه شيء آخر لا أزلا ولا أبدا بل هو عين الموجودات، ونفس الكائنات، وجعلوا المخلوقات المصنوعات هي نفس الخالق الباري المصور، وهم دائماً يذكرون بهذه الكلمة: « وهو الآن على ما عليه كان » وهي أجل عندهم من (قل هو الله أحد) ومن آية الكرسي لما فيها من الدلالة على الاتحاد الذي هو الحادهم، وهم يعتقدون أنها ثابتة عن النبي ﷺ وأنها من كلامه ومن أسرار معرفته، وقد بينا أنها كذب مختلق، ولم يروها أحد من أهل العلم ولا في شيء من دواوين الحديث بل اتفق العارفون بالحديث على أنها موضوعة، ولا تنقل هذه الزيادة عن إمام مشهور في الإمامة، وإنما مخرجها ممن يعرف بنوع من التجهم، وتعطيل بعض الصفات، ولفظ الحديث المعروف عند علماء الحديث الذي أخرجه أصحاب الصحيح « كان الله ولا شيء معه، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء » وهذا إنما ينفي وجود المخلوقات من السموات والأرض. وما فيهما من الملائكة والانس والجن. لا ينفي وجود العرش. ولهذا ذهب كثير من السلف والخلف إلى أن العرش متقدم على القلم واللوح. مستدلين بهذا الحديث وحملوا قوله « أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة » على هذا الخلق المذكور في قوله (وهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وكان عرشه على الماء) وهذا نظير حديث أبي رزين العقيلي المشهور في كتب المسانيد والسنن أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال

« كان في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء » فالخلق المذكور في هذا الحديث لم يدخل فيه الغمام، وذكر بعضهم أن هذا هو السحاب المذكور في قوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وفي ذلك آثار معروفة

والدليل على أن هذا الكلام وهو قولهم « وهو الآن على ما عليه كان » كلام باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع والاعتبار وجوه

(أحدها) أن الله قد أخبر بأنه مع عباده في غير موضع من الكتاب عموماً وخصوصاً مثل قوله (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ما يكون من نجوي ثلاثة الا هو رابعهم - الى قوله - أينما كانوا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * والله مع الصابرين) في موضعين وقوله (انني معكم أسمع وأرى * لا تحزن ان الله معنا * وقال الله اني معكم * ان معي ربي سيهدين) وكان النبي ﷺ اذا سافر يقول « اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الاهل، اللهم احبنا في سفرنا، واخلقنا في أهلنا » فلو كان الخلق عموماً وخصوصاً ليسوا غيره ولا هم معه بل ما معه شيء آخر امتنع أن يكون هو مع نفسه وذاته، فان المعية توجب شيئين كون أحدهما مع الآخر فكما أخبر الله انه مع هؤلاء امتنع علم بطلان قولهم « هو الآن على ما عليه كان » لاشيء معه. بل هو عين المخلوقات، وأيضاً فان المعية لا تكون الا من الطرفين، فان معناها المقارنة والمصاحبة، فاذا كان أحد الشيئين مع الآخر امتنع ألا يكون الآخر معه، فمن الممتنع أن يكون الله مع خلقه ولا يكون لهم وجود معه ولا حقيقة أصلاً بل هم هو

(الوجه الثاني) ان الله قال في كتابه (ولا تجعل مع الله الهماً آخر فتلقى في جهم ملوماً مدحوراً) وقال تعالى (فلا تدع مع الله الهماً آخر فتكون من المعذبين) وقال (ولا تدع مع الله الهماً آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه)

فنهائهم أن يجعل أو يدعو معه إلهاً آخر، ولم ينههم أن يثبت معه مخلوقاً، أو يقول
 أن معه عبداً مملوكاً أو مربوباً فقيراً، أو معه شيئاً موجوداً خلقه، كما قال: (لا إله
 إلا هو) ولم يقل لا موجود إلا هو، ولا هو إلا هو، ولا شيء معه إلا هو، بمعنى أنه
 نفس الموجودات وعينها. وهذا كما قال (الحكم اله واحد) فثبت وحدانيته في
 الألوهية ولم يقل أن الموجودات واحد فهذا التوحيد الذي في كتاب الله هو
 توحيد الألوهية وهو أن لا تجعل معه ولا تدعو معه إلهاً غيره، فأين هذا من أن
 يجعل نفس الوجود هو إياه، وأيضاً فنهيه أن يجعل معه أو يدعو معه إلهاً آخر
 دليل على أن ذلك ممكن كما فعله المشركون الذين دعوا مع الله آلهة أخرى

فهذه النصوص تدل على أن معه أشياء ليست بآلهة ولا يجوز أن تجعل آلهة ولا تدعى
 آلهة، وأيضاً فعند الملحد يجوز أن يعبد كل شيء ويدعى كل شيء اذ لا يتصور أن
 يعبد غيره فانه هو الأشياء، فيجوز للإنسان حينئذ أن يدعو كل شيء من الآلهة
 المعبودة من دون الله، وهو عند الملحد مادام معه إلهاً آخر فجعل نفس ما حرمه
 الله وجعله شركاً جعله توحيداً، والشرك عنده لا يتصور بحال

(الوجه الثالث) ان الله لما كان ولا شيء معه لم يكن معه سماء ولا أرض
 ولا شمس ولا قمر، ولا جن ولا اس ولا ذوات ولا شجر ولا جنة ولا نار
 ولا جبال ولا بحار. فإن كان الآن على ما عليه كان، فيجب أن لا يكون معه شيء من
 هذه الأعيان، وهذا مكابرة للعيان، وكفر بالقرآن والایمان

(الوجه الرابع) ان الله كان ولا شيء معه ثم كتب في الذكر كل شيء كما
 جاء في الحديث الصحيح فان كان لا شيء معه فيما بعد فما الفرق بين حال الكتابة
 وقبلها، وهو عين الكتابة واللوح عند الفراغة الملاحظة ؟

فصل

وزعمت طائفة من هؤلاء الاتحادية الذين ألدوا في أسماء الله وآياته ان فرعون كان مؤمنا وانه لا يدخل النار ، وزعموا انه ليس في القرآن ما يدل على عذابه بل فيه ما ينفيه كقوله (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) قلوا فانما أدخل آله دونه . وقوله (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) قالوا إنما أوردتهم ولم يدخلها قالوا ولانه قد آمن انه لا إله إلا الذي آمننت به بنو اسرائيل ، ووضع جبريل الطين في فمه لا يرد إيمان قلبه . .

وهذا القول كفر معلوم فساد بالاضطرار من دين الاسلام لم يسبق ابن عربي اليه فيما اعلم أحد من أهل القبلة ولا من اليهود ولا من النصارى بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون . فهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل ، فانه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والالهية مثل فرعون ، ولهذا ثنى الله قصته في القرآن في مواضع فان القصص هي أمثال مضر وبة للدلالة على الايمان ، وليس في الكفار أعظم من كفره ، والقرآن قد دل على كفره وعذابه في الآخرة في مواضع (أحدها) قوله تعالى في القصص (فذناك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين - الى قوله - واتبعنهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) فأخبر سبحانه أنه أرسله الى فرعون وقومه ، وأخبر أنهم كانوا قوما فاسقين ، وأخبر أنهم (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) وأخبر ان فرعون (قال ما علمت لكم من إله غيري) وانه أمر باتخاذ الصرح ليطلع الى إله موسى وانه يظنه كاذبا ، وأخبر انه استكبر فرعون وجنوده وظنوا أنهم لا يرجعون الى الله . وانه أخذ فرعون وجنوده فنبذهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، وانه جعلهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون ، وأنه

أتبعهم في الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

فهذا نص في أن فرعون من الفاسقين المكذبين لموسى الظالمين الداعين إلى النار الملعونين في الدنيا بمد غرقهم المقبوحين في الدار الآخرة . وهذا نص في أن فرعون بعد غرقه ملعون ، وهو في الآخرة مقبوح غير منصور . وهذا إخبار عن غاية العذاب ، وهو موافق للموضع الثاني في سورة المؤمن وهو قوله (وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وهذا إخبار عن فرعون وقومه أنه حاق بهم سوء العذاب في البرزخ وانهم في اقيامة يدخلون أشد العذاب ، وهذه الآية إحدى ما استدل به العلماء على عذاب البرزخ

وانما دخلت الشبهة على هؤلاء الجاهل لما سمعوا آل فرعون فظنوا أن فرعون يخرج منهم . وهذا تحريف للكلام عن مواضعه ، بل فرعون داخل في آل فرعون بلا نزاع بين أهل العلم والقرآن واللغة يبين ذلك بوجوه

(أحدها) أن لفظ آل فلان يدخل فيها ذلك الشخص مثل قوله في الملائكة الذين ضافوا إبراهيم (أنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * إلا آل لوط آمنوا جميعاً * إلا امرأته) ثم قل (فله جاء آل لوط المرسلون قل) يعني لوطاً (انكم قوم منكرون) وكذلك قوله (أنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيتناهم بسحر) ثم قل بعد ذلك (ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) ومعلوم أن لوطاً داخل في آل لوط في هذه المواضع وكذلك فرعون داخل في آل فرعون المكذبين الأخوذين ، ومنه قول النبي ﷺ « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم » وكذلك قوله « كما باركت على آل إبراهيم » فأبراهيم داخل في ذلك ، وكذلك قوله للحسن « ان الصدقة لا تحل لآل محمد » وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان القوم إذا أتوا رسول الله

ﷺ بصدقة يصلي عليهم، فأتى أبي بصدقة فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى »
وأبو أوفى هو صاحب الصدقة .

ونظير هذا الاسم أهل البيت اسماً ، فلرجل يدخل في أهل بيته كقول الملائكة
(رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) وقول النبي ﷺ « سلمان منا أهل
البيت » وقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وذلك
لأن آل الرجل من يتولى أباه ونفسه ممن يتولى إليه، وأهل بيته هم من يأهله
وهو من يأهل أهل بيته

فقد تبين أن الآية التي ظنوا أنها حجة لهم هي حجة عليهم في تعذيب
فرعون مع سائر آل فرعون في البرزخ وفي القيامة ، ويبين ذلك أن الخطاب
في القصة كلها إخبار عن فرعون وقومه . قال تعالى (ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا وساطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) إلى
قوله (قل الذين استكبروا إنما كل فيهما أن الله قد حكم بين العباد) فأخبر
عقب قواه (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) عن محاجتهم في النار وقول
الضعفاء الذين استكبروا وقول المستكبرين للضعفاء (إنما كل فيهما) ومعلوم أن
فرعون هو رأس المستكبرين ، وهو الذي استخف قومه فأطاعوه ، ولم يستكبر
أحد استكبار فرعون فهو أحق بهذا النعت والحكم من جميع قومه

(الموضع الثاني) وهو حجة عليهم لا أهم قوله (فتبعوا أمر فرعون وما
أمر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس لورد المورود)
إلى قوله (بئس الرفد المرفود) أخبر أنه يقدم قومه ولم يقل يسوقهم وأنه أوردهم
النار . ومعلوم أن المتقدم إذا أورد المتأخر النار كان هو أول من يردّها والآخر
يكن قادماً بل كان سابقاً . يوضح ذلك أنه قال (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة)
فعلم أنه وهم يردون النار وأنهم جميعاً ملعونون في الدنيا والآخرة . وما أخلق

الحاج عن فرعون ان يكون بهذه المثابة فان المرء مع من احب (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) وايضاً فقد قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس) يقول : هلا آمن قوم فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس . وقال تعالى (فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثاراً في الارض - الى قوله - سنة الله التي قد خلت في عباده) فأخبر عن الامم المكذبة للرسل انهم آمنوا عند رؤية البأس وانه لم يك ينفعهم ايمانهم حينئذ ، وان هذه سنة الله الخالية في عباده ، وهذا مطابق لما ذكره الله في قوله لفرعون (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فان هذا الخطاب هو استفهام انكار اي الآن تؤمن وقد عصيت قبل ؟ فانكر أن يكون هذا الايمان نافعاً أو مقبولاً ، فمن قال انه نافع مقبول فند خالف نص القرآن وخالف سنة الله التي قد خلت في عباده

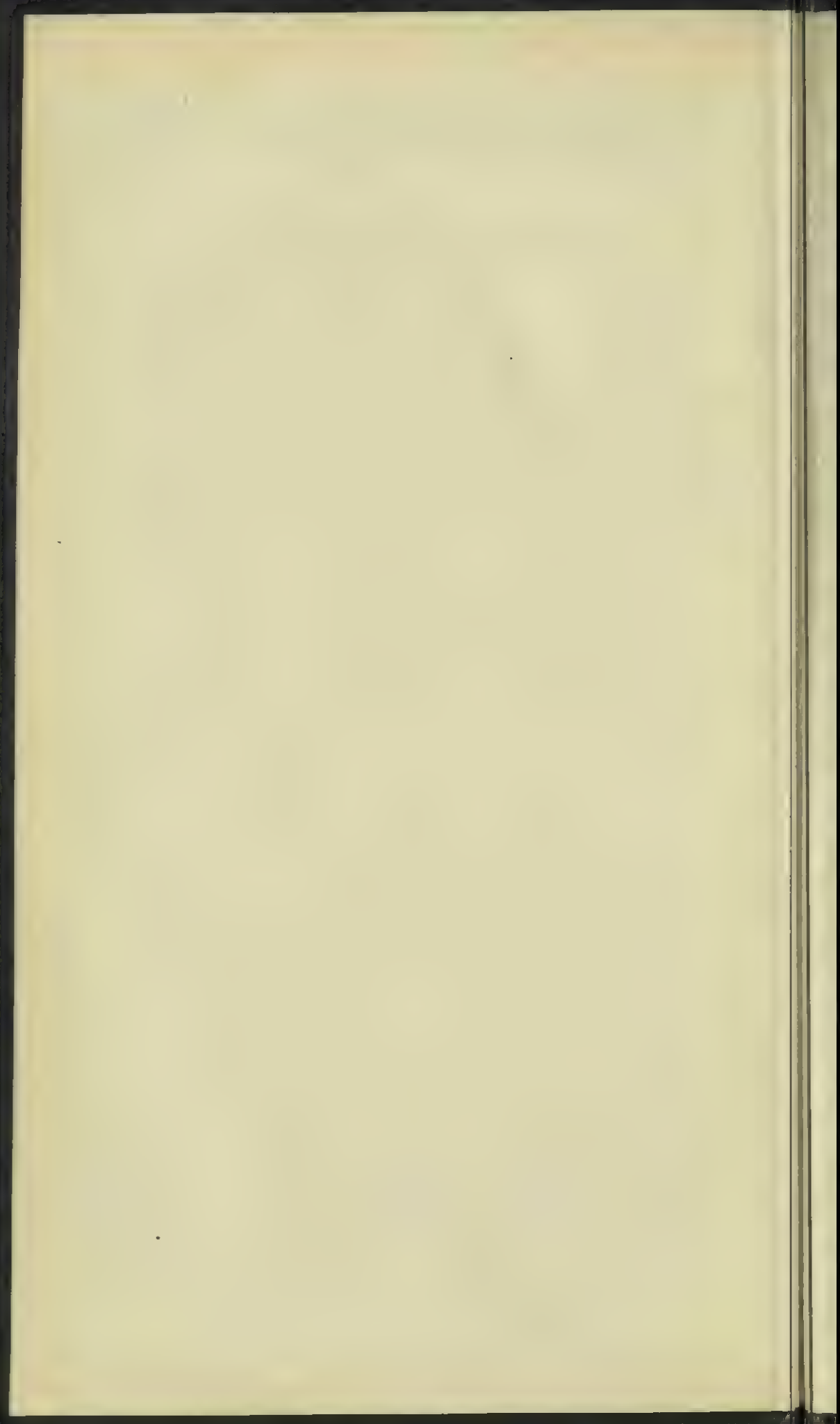
يبين ذلك انه لو كان ايمانه حينئذ مقبولا لدفع عنه العذاب كادفع عن قوم يونس ، فانهم لما قبل ايمانهم متعوا إلى حين ، فان الاغراق هو عذاب على كفره فاذا لم يك كافراً لم يستحق عذاباً . وقوله بعد هذا (فاليوم نتجيك بيدك) ان تكون لمن خلفك آية) فوجب أن يعتبر به من خلفه ، ولو كان اتما مات مؤمناً لم يكن المؤمن مما يعتبر باهلاكه وإغراقه . وايضاً فان النبي ﷺ لما أخبره ابن مسعود بقتل أبي جهل قال « هذا فرعون هذه الامة » فضرب النبي ﷺ المثل في رأس الكفار المكذبين له برأس الكفار المكذبين لموسى . فهذا يبين انه هو الغاية في الكفر فكيف يكون قدماء مؤمنين ؟ ومعلوم أن من مات مؤمناً لا يجوز أن يوسم بالكفر ولا يوصف لان الاسلام يهدم ما كان قبله ، وفي مسند أحمد واسحاق وصحيح ابن أبي حاتم عن عوف بن مالك عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ في تارك الصلاة « يأتي مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف »

﴿ هذا آخر ما وجد من هذه الرسالة ﴾

﴿فهرس رسالة﴾

حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود

- ٢ نص السؤال عن حقيقة مذهب الاتحاديين
- ٤ فصل في بيان أن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساد
- ٥ « أن حقيقة قول هؤلاء أن وجود الكائنات هو عين وجود الله
- ٦ المقالة الاولى لمذهب ابن عربي — وله أصلان أولهما أن المعدوم شيء ثابت في العدم
- ١٧ الأصل الثاني لمذهب ابن عربي أن وجود الاعميان نفس وجود الحق وعينه
- ١٨ فصل فيما خالفه فيه صاحبه الصدر الرومي وكونه أعلم منه بالكلام وأقل علماً بالاسلام
- ٢٣ « وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهية ووجود
- ٢٤ « واعلم أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد قبل هؤلاء
- ٢٦ مذهب هؤلاء الاتحادية والرد عليها من وجوه يعلم بها أنهم ليسوا مسلمين
- ٢٧ الوجه الاول ان هذه الحقائق الكونية يتمتع أن تكون عين الحق
- ٢٩ الوجه الثاني في قولهم انه تجلى لها وظهر بها فلا تقع العين إلا عاينه
- ٣٠ الوجه الثالث والرابع في كلمة أنا وحقيقة النبوة والروح الاضافي
- ٣١ « الخامس في قولهم ان لهذه الحقيقة طرفين طرف إلى الحق وطرف إلى الخلق
- ٣٢ « السادس في حيرتهم وتناقضهم فيها كالنعاري في الاقاييم
- ٣٦ « السابع قوله ان الملويات جفتها الفوقاني والسفليات جفتها التحتاني
- ٣٧ الوجوه ٨ و ٩ و ١٠ في بطلان هذا التشبيه وأخذهم مسألة النفس الكيفية عن الفلاسفة
- ٣٨ الوجه ١١ في زعمهم ان قولهم هو الحق المتبع وكونه لم يقل به أحد قبلهم
- ٣٩ وأما ما حكاه عن الذي سماه الشيخ الحق من أن العالم مجموع حدة عين الله
- ٤٦ فصل في بعض ألقاظ ابن عربي التي تبين مذهبه مع بطلانها والرد عليها
- ٦٣ ادعاؤه مرتبة خاتم الاولياء التي فضلها على مرتبة خاتم الانبياء من بعض الوجوه
- ٧٧ فصل في بعض ما يظهر به كفرهم
- « ومن أعظم الاصول التي يعتمدها هؤلاء الاتحادية حديث « كان الله ولا شيء معه » وهو موضوع بهذا اللفظ الذي يستدلون به على كفرهم
- ٩٣ « في قولهم بايمان فرعون ونحريهم ما ورد في كفره من الآيات الصريحة
- ٩٨ ﴿تم الفهرس والحمد لله﴾



Small, illegible text or markings along the left edge of the page, possibly bleed-through from the reverse side.

عرش الرحمن

وما ورد فيه من الآيات والاحاديث

وكونه فوق العالم كله، ومعنى التوجه في الدعاء الى جهة العلو

وبطلان ما قيل من ان العرش هو الفلك التاسع عند علماء الهيئة اليونانية

تأليف

شيخ الاسلام ابن تيمية
قدس سره

أشرف على تصحيحه وعاق عليه بعض الحواشي

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنارة

وحقوق الطبع عن هذه النسخة محفوظة له

مطبعة المنار بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سئل﴾ شيخنا وسيدنا شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية أعاد الله تعالى من بركته آمين : ما تقول في العرش، هل هو كروي ام لا ؟ فإذا كان كروياً والله من ورائه محيط بآئن عنه ، فما فائدة أن العبد يتوجه الى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون غيره ؟ فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي، ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلو لا يلتفت يمينه ولا يساره ، فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها ، وابسطوا لنا الجواب في ذلك .

﴿أجاب﴾ رضي الله تعالى عنه :

الحمد لله رب العالمين ، الجواب عن هذا بثلاث مقامات :

(أحدها) ان لقائل أن يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة السكرية الشكل لا بدليل شرعي ولا دليل عقلي ، وانما ذكر طائفة من التأخرين الذين نظروا في علم الهيئة وغيره من أجزاء الفلسفة فرأوا أن الافلاك تسعة وان التاسع - وهو الاطلس - محيط بها مستدير كاستدارتها ، وهو الذي يحركها الحركة الشرقية ، وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة ، ثم سمعوا في أخبار الانبياء ذكر عرش الله وذكر كرسيه وذكر السموات السبع ، فقالوا بطريق الظن : ان العرش هو الفلك التاسع ، لا اعتقادهم أن ليس وراء ذلك التاسع شيء إما مطلقاً وإما انه ليس وراءه مخلوق ، ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذي يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدء الحوادث وزعموا أن الله تعالى يحدث فيه ما يقدره في الارض او يحدثه في النفس التي زعموا انها متعلقة به ، او في العقل الذي زعموا انه صدر عنه

هذا الفلك، وربما سماه بعضهم الروح، وربما جعل بعضهم ذلك النفس هو اللوح المحفوظ كما جعل العقل هو العلم، وتارة يجعلون اللوح هو العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر والنفس المتعاقبة به. وربما جعلوا ذلك بالنسبة إلى الحق كالدماع بالنسبة إلى الإنسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن يكون، إلى غير ذلك من المقالات التي قد شرحتها وبيننا فسادها في غير هذا الموضع. ومنهم من يدعي أنه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذباً فيما يدعيه، وإنما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليداً لهم أو موافقة لهم على طرقهم الفاسدة، كما فعل أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم وقد ينتحل المرء في نفسه ما تقلده عن غيره فيظنه كشفاً كما ينتحل النصراني انتحال الذي يعتقده، وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كشفاً، وإنما يخيل لما اعتقده^(١) وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة إذا ارتاضوا صقلت الرياضة نفوسهم فتتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كشفاً، وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أن مذكروه من أن العرش هو الفلك التاسع قد يقال أنه ليس لهم عليه دليل لا عقلي ولا شرعي، أما العقلي فإن أئمة الفلسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكره. وما لم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعملون لاثبوت ولا انتفاء.

مثال ذلك أنهم علموا أن هذا الكوكب تحت هذا بان السفلي يكشف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على أنه من فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة، حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كفلك التدوير وغيره،

(١) لعل أصله: يخيل إليه ما اعتقده، وإن بعض التصاري يرون في المنام وفي حال تغلب الخيال عند أولى المزاج العصبي في البقظة السيد المسيح أو السيدة مريم عليهما السلام أو غيرها من الحواريين ومن دونهم ويسمعون منهم ما يوافق عقائدهم كما يقع لكثير من المسلمين فيفترون بهذه الخيالات

فأما ما كان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته فهم لا يعلمون
 نفيه ولا اثباته بطريقه . وكذلك قول القائل ان حركة التاسع مبدأ الحوادث
 خطأ وضلال على أصولهم ، فانهم يقولون ان الثامن له حركة تخصه بما فيه من
 الثوابت ، وتلك الحركة قطبان غير قطبي التاسع ، وكذلك السابع والسادس ،
 واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات المختلفة هي سبب الاشكال الحادثة
 المختلفة الفلكية ، وتلك الاشكال سبب الحوادث السفلية ، كانت حركة التاسع جزء
 السبب كحركته ، فالاشكال الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب للكوكب في
 درجة واحدة ومقابلته له إذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة
 وتثليثه إذا كان بينهما ثلث الفلك مائة وعشرون درجة ، وترتيبه له إذا كان
 بينهما ربعه تسعون درجة ، وتسديسه له إذا كان بينهما سدس الفلك ستون
 درجة - وأمثلة ذلك من الاشكال - انما حدثت بحركات مختلفة ، وكل حركة
 ليست عن الاخرى ، اذ حركة اثنى من التي تخصه ليست عن حركة التاسع
 وان كان تابعا له في الحركة - كلية كالانسان المتحرك في السفينة الى خلاف
 حركتها . وكذلك حركة السابع التي تخصه ليست عن التاسع ولا عن الثامن ،
 وكذلك سائر الافلاك فان حركة كل واحد التي تخصه ليست عما فوقه من الافلاك ،
 فكيف يجوز ان يجعل مبدأ الحوادث كلها مجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه
 العرش ؟ كيف والافلاك التسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لا اختلاف فيه أصلا ،
 فكيف يكون سببا لأشياء مختلفة لآباء القوابل وأسباب أخرى ، ولكن هم قوم
 ضالون يجعلونه مع هذا ثلثمائة وستين درجة ، ويجعلون لكل درجة من الاثر
 ما يخالف الاخرى لا باختلاف القوابل ، كمن يجيء الى ماء واحد فيجعل البعض
 أجزائه من الاثر ما يخالف الآخر لا بحسب القوابل بل يجعل أحد جزئيه مسخفاً
 والآخر مبرداً ، والآخر مسعداً ، والآخر مشقياً ، وهذا مما يعلمون هم وكل

عاقِل انه باطل وضلال ، واذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر فوق الافلاك التسعة كان يجزم^(١) أن ما أخبرت به الرسل من العرش هو الفلاك التاسع رجاء بالغيب وقولا بلا علم .

هذا كله على تقدير ثبوت الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة ، إذ في ذلك من النزاع والاضطراب وفي أدلة ذلك ما ليس هذا موضعه ، وانما نتكلم على هذا التقدير أيضاً^(٢) فلا فلاك في أمثالها وإحاطة بعضها ببعض من جنس واحد فنسبة السابع إلى السادس كنسبة السادس إلى الخامس . وإذا كان هناك فلاك تاسع فنسبته إلى الثامن كنسبة الثامن إلى السابع

وأما العرش فلاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض ، قل الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) وقال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) فأخبر أن للعرش حملة اليوم ويوم القيامة ، وإن حماته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين ، والمعلوم أن قيام فلاك من الافلاك بقدرته الله تعالى كقيام سائر الافلاك لا فرق في ذلك بين كرة وكرة ، وإن قدر أن لبعضها في نفس الامر ملائكة تحملها فحكمه حكم نظيره

(١) لدل اصله : كان جزؤه اوجزهم بأن ما أخبرت الرسل الخ

(٢) يعني الشيخ (رح) انه يعني ابطال قولهم على تقدير ثبوت الافلاك التسعة جدلاً وهي غير ثابتة بدليل صحيح ، ونقول إنه قد تبين بعده بما ارتقى اليه علم الهيئة الفلكية بالآلات الحديثة المقربة للابعاد بطلان القول بالافلاك التسعة التي تخيلها اليونان وتبهم فيها علماء العرب

قال الله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) فذكر هنا أن الملائكة تحف من حوله ، وذكر في موضع آخر أن له حملة ، وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله ، فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله) وأيضاً فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض كما قال تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)

وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والارض » وفي رواية له « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والارض ، وكتب في الذكر كل شيء » وفي رواية لغيره صحيحة « كان الله ولم يكن شيء معه ، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء »

وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » فهذا التقدير بعد وجود العرش وقبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وهو سبحانه وتعالى يتمدح بانه ذوالعرش المجيد كقوله سبحانه (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لا بتغوا إلى ذي العرش سييلاً) وقوله تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم باردون لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ؟ الله الواحد القهار)

وقال سبحانه (وهو الغفور الودود * ذوالعرش المجيد * فعار لما يريد) وقد قرىء المجيد بالرفع صفة لله ، وقرىء بالخفض صفة للعرش وقال تعالى (قل من

رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون) فوصف
العرش بأنه مجيد وأنه عظيم

وقال تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)
فوصفه بأنه كريم أيضاً ، وكذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله
إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » فوصفه في الحديث
بأنه عظيم وكريم أيضاً

فيقول القائل المنازع : إن نسبة الفلك الأعلى إلى مادونه كنسبة الآخر إلى
مادونه ، فلو كان العرش من جنس الأفلاك لكانت نسبته إلى مادونه كنسبة
الآخر إلى مادونه ، وهذا لا يوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر كما لم
يوجب ذلك تخصيص سماء دون سماء ، وإن كانت العليا بالنسبة إلى السفلى كالفلك
على قول هؤلاء

وانما امتاز عما دونه بكونه أكبر كما تمتاز السماء العليا على الدنيا بل نسبة السماء
إلى الهواء ونسبة الهواء إلى الماء والأرض كنسبة فلك إلى فلك . ومع هذا فلا يخص
واحد من هذه الاجناس عما يليه بالذكر ولا بوصفه بالكرم والمجد والعظمة ،
وقد علم أنه ليس سبباً لذاتها ولا لحركاتها ، بل لها حركات تخصها فلا يجوز أن
يقال إن حركته هي سبب الحوادث ، بل إن كانت حركة الأفلاك سبباً للحوادث
فحركات غيره التي تخصه أكثر ولا يلزم من كونه محيطاً بها أن يكون أعظم من
مجموعها ، إلا إذا كان له من الغاظ ما يقاوم ذلك ، وإلا فن المعلوم أن الغايط إذا
كان متقارباً لمجموع الداخل أعظم من المحيط بل قد يكون بقدره أضعافاً ، بل الحركات
المختلفة التي ليست عن حركته أكثر لكن حركته تشملها كلها

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل

عليها وكانت تسبح بالحصى إلى الضحى فقال « لقد قلت كلمة تعدل كميات لو وزنت بما قلتيه لوزنتهن : سبحان الله زينة عرشه ، سبحان الله رضى الله نفسه ، سبحان الله مراد كلماته »^(١) فهذا يبين أن زينة العرش أثقل الاوزان ، وهم يقولون إن الفلك التاسع لا خفيف ولا ثقيل ، بل يدل على أنه وحده أثقل ما يمثل به كما أن عدد المخلوقات أكثر ما يمثل به

وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه فقال : يا محمد رجل من أصحابك لطم وجهي . فقال النبي ﷺ « ادعوه » فقال « لم لطمت وجهه ؟ » فقال يا رسول الله إني مررت بالسوق وهو يقول : والذي اصطفى موسى على البشر ، فقلت يا خبيث وعلى محمد ؟ فأخذتني غصبة فاطمته ، فقال النبي ﷺ « لا تخيروا بين الانبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفوق قبلي أم جوزي بصعقته » فهذا فيه بيان أن للعرش قوائم وجاء ذكر القائمة باللفظ الساق والافلاك متشابهة في هذا الباب

وقد أخرجنا في الصحيحين عن جابر قل سمعت النبي ﷺ يقول « اهتز

(١) لهذا الحديث في مسلم وكذا في السنن لفظان عن جوبرية (رض) أحدهما أن النبي (ص) أخرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت نعم . قال النبي (ص) لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزينة عرشه ، ومداد كلماته » واللفظ الآخر أنه قال « سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زينة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » وليس في الرواية أنها كانت تسبح بالحصى ولعله قد ثبت عنها في رواية أخرى كما ثبت عن صفية (رض) والحديث ذكره أبو داود في باب التسبيح بالحصى ولكنه ذكر التسبيح بالحصى عن غيرها

عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ « قل فقل رجل الجابر ان البراء يقول اهتز السرير قال: « كان بين هذين الحيين لاوس والخزرج ضغائن. سمعت نبي الله ﷺ يقول « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » ورواه مسلم في صحيحه من حديث أنس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قل - وجنابة سعد موضوعة « اهتز لها عرش الرحمن » وعندهم ان حركة الفلك التاسع دائمة منسابة ومن تأول ذلك على ان المراد به استبشار حملة العرش وفرحهم فلا بد له من دليل على ما قل كما ذكر ابو الحسين الطبري وغيره ان سياق الحديث ولفظه ينفي هذا الاحتمال وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قل : قل رسول الله ﷺ « من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله ان يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » قلوا: يا رسول الله، أفلا نبشرك الناس بذلك ؟ قال « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجة بين يديهما كما بين السماء والأرض . فإذا سألت الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة »

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قل « يا أبا سعيد، من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة » فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله ، ففعل قل « وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » قال وما هي يا رسول الله قل « الجهاد في سبيل الله » وفي صحيح البخاري ان ام الربيع بنت البراء وهي ام حارثة بن سراقه أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ألا تحبني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر - أصابه سهم غرب (١) ، فان كان في الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء . قل « يا أم حارثة، انها جنان في الجنة وان ابنك أصاب الفردوس الاعلى »

« ١ » بفتح الراء وسكونها ، أي لا يعرف راميه

فهذا قد بين أن العرش فوق الفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها، وأن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها. والحديث الثاني يوافقه في وصف الدرج المائة، والله يوافقه في أن الفردوس أعلاها. وإذا كان العرش فوقه فلتمائل أن يقول: إذا كان كذلك كان في هذا من العلو والارتفاع ما لم يعلم بالهيئة، إذ لا يعلم بالحساب أن بين السماء والأرض مائة مرة، بل عندهم أن التاسع ملاصق للثامن. فهذا قد بين أن العرش فوق الفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها. وفي حديث أبي ذر المشهور قال: قلت يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال «آية الكرسي» ثم قال يا أبا ذر «ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة» والحديث له طرق وقد رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه وأحمد في المسند وغيرها.

وقد استدل من استدل على أن العرش مقرب بالحديث الذي في سنن أبي داود وغيره عن جابر بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس وجاع العيال، وهلك المال، فدع الله لما. فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال «وبحك، أتدري ما تقول؟ إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه. شأن الله أعظم من ذلك. إن الله على عرشه، وإن عرشه على سماواته وأرضه لهكذا. وقل بأصابعه مثل القبة» وفي لفظ «وإن عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه، لهكذا» وقل بأصابعه مثل القبة. وفي لفظ «وإن عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبة^(١) وهذا الحديث وإن دل على

(١) لهذا الحديث بقية والفاظ مختلفة قال البيهقي بعد إيرادها في الاسماء والصفات عن أبي داود: وهذا حديث ينفرد به محمد بن إسحاق بن يسار عن =

التقريب وكذلك قوله عن الفردوس « إنها أوسط الجنة وأعلاها » مع قوله « وان سقفتها عرش الرحمن » أو « ان فوقها عرش الرحمن » والاوسط لا يكون الاعلى الا في المستدير ، فهذا لا يدل على انه فلك من الافلاك ، بل اذا قدر انه فوق الافلاك كلها أمكن هذا فيه سواء قل القائل انه محيط بالافلاك أو قل انه فوقها . وليس يحيط بها ، كما أن وجه الارض فوق النصف الاعلى من الارض وان لم يكن محيطا بذلك . وقد قل اياس بن معاوية : السماء على الارض مثل القبة . ومعلوم أن الفلك مستدير مثل ذلك ، لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو لا يستلزم استدارة من جميع الجوانب إلا بدليل منفصل ، ولفظ الفلك يستدل به على الاستدارة مطلقا ، فقوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يقتضي أنها في فلك مستديرة مطلقا كما قل ابن عباس رضي الله تعالى عنه في فلكة مثل فلكة المغزل . وأما لفظ القبة فانه لا يعترض هذا المعنى لا بنفي ولا اثبات ، لكن يدل على الاستدارة

= يعقوب بن عتبة ، وصاحب الصحيح لم يحتج به انما استشهد مسلم بن الحجاج بمحمد بن اسحاق في احاديث معدودة اظهنت خمسة قد رواهن غيره . وذكره البخاري في الشواهد ذكرنا من غير رواية ، وكان مالك بن انس لا يرضاه ، ويحیی ابن سعيد القطان لا يروي عنه ، ويحیی بن معين يقول ليس هو بحجة ، واحمد ابن حنبل يقول يكتب عنه هذه الاحاديث - يعني المغازي ونحوها - فاذا جاء الحلال والحرام اردنا قوما هكذا - يريد اقوى منه - فاذا كان لا يحتج به في الحلال والحرام فأولى ان لا يحتج به في صفات الله سبحانه . وانما تقدموا عليه في روايته عن اهل الكتاب ثم عن ضعفاء الناس وتدليسه اسامهم . فاذا روى عن ثقة وبين سماعه منه جماعة من الاثمة لم يروا به باسا . وهو انما روى هذا الحديث عن يعقوب بن عتبة وبعضهم يقول عن عتبة وعن محمد بن جبير ولم يبين سماعه منهما . واختلف عليه في لفظه كما ترى اه جملة القول ان هذا الحديث لا يصح ولعل الشيخ اورده استيفاء للروايات النافية لاقوال اهل الهيئة

من العلو كالقبة الموضوعة على الارض ، وقد قل بعضهم ان الافلاك غير السموات لكن رد عليه غيره هذا القول بان الله تعالى قل ' ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) فاخبر انه جعل القمر فيهن ، وقد أخبر انه في الفلك (١)

وايس هذا موضع بسط الكلام في ذلك وتحقيق الامر فيه وبيان أن ما علم بالحساب علماً صحيحاً لا ينافي ما جاء به السمع وان العلوم السمعية الصحيحة لا تنافي معقولا صحيحاً ، إذ قد بسطنا الكلام على هذا وأمثاله في غير هذا الموضع ، فان ذلك يحتاج اليه في هذا ونظائره مما قد اشكل على كثير من الناس حيث يرون ما يقال انه معلوم بالعقل مخالفا لما يقال انه معلوم بالسمع ، وأوجب ذلك ان كذبت كل طائفة بما لم تحط بعلمه . حتى آل الامر بقوم من أهل الكلام ان تكلموا في معارضة الفلاسفة في الافلاك بكلام ليس معهم به حجة لامن شرع ولا من عقل ، وظنوا ان ذلك من نصر الشريعة وكان ما جحدوه معلوماً بالادلة الشرعية ايضا

وأما المتفلسفة واتباعهم فغايته ان يستدلوا بما شاهدوه من الحسيات ولا يعلمون ما وراء ذلك ، مثل ان يعلموا ان البخار المتصاعد ينعقد سحاباً وان السحاب إذا اصطك حدث عنه صوت به (٢) ونحو ذلك ، لكن علمهم بهذا كعلمهم بان المني يصير

(١) الذي يفهمه أهل اللغة من الفلك هنا أنه مدار الكواكب وعبرة القاموس مدار النجوم قال : ومن كل شيء مستداره ومعظمه ، وهذا غير المراد من الفلك عند علماء الهيئة اليونانية فهو عندهم جسم مستدير صلب شفاف لا يقبل الحرق والالئام ، وكل فلك من الاول الى السابع فيه كوكب من الدراري السبع يدور فيه والثامن للنجوم الثابتة كلها وانتاسم أطلس ليس فيه شيء

(٢) يعنون بهذا الصوت الرعد ، وهو قول باطل لم يجدوا ما يعللون به صوت الرعد غيره . وأما علماء السكون في هذا العصر فقد ثبت عندهم أن البرق والرعد يحدثان من اشتعال الكهربية بالنفاه الايجابي منها بالسلب ، وبهذا الاشتعال يحدث تفريغ في الهواء يكون له صوت بقدره كما يحدث باطلاق المدفع وهو صوت الرعد والعواصف

في الرحم (جنينا) لكن ما الموجب للمني المتشابه الاجزاء ان يخلق منه هذه الاعضاء المختلفة
والمنافع المختلفة على هذا الترتيب المحكم المتقن الذي فيه من الحكمة والرحمة ما بهر
الالباب وكذلك ما الموجب لان يكون الهواء أو البخار ينعقد سحابا مقدرًا بقدر
مخصوص في وقت مخصوص على مكان يختص به وينزل على قوم عند حاجتهم اليه
فيستقيم بقدر الحاجة لا يزيد فيهلكوا ولا ينقص فيعموزوا . وما الموجب لان يساق
إلى الارض الجُرُز التي لا تمطر أو تمطر مطراً لا يغنيها كارض مصر أو كان المطر
القليل لا يكفيها والكثير يهدم ابنتها (١) قل تعالى (او لم يروا انا نسوق الماء إلى
الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون)

وكذلك السحاب المتحرك وقد علم ان كل حركة فاما ان تكون قسرية وهي
تابعة للقاسر، أو طبيعية، وانما تكون إذا خرج المطبوع من مركزه فيطلب عوده اليه
أو ارادته وهي الاصل، فجميع الحركات تابعة للحركة الارادية التي تصدر عن ملائكة
الله تعالى التي هي لمدرات امراء والمقسمات امراء، وغير ذلك مما اخبر الله تعالى به عن
الملائكة. وفي المعقول ما يصدق ذلك. فالكلام في هذا وأمثاله موضع غير هذا
والمقصود هنا ان نبين ان ما ذكر في السؤال زائل على كل تقدير فيكون الكلام
في الجواب مبنيًا على حجج علمية لا تقليدية ولا مسالمة، وإذا بينا حصول الجواب على
كل تقدير كما سنوضحه لم يضرنا بعد ذلك ان يكون بعض التقديرات هو الواقع وان
كننا نعلم ذلك، لكن تحرير الجواب على تقدير دون تقدير واثبات ذلك فيه طول
لا يحتاج اليه هنا، فن الجواب إذا كان حاصلًا على كل تقدير كان أحسن وأوجز

(١) ان كون نزول المطر في كل أرض بقدر حاجة أهلها لا يزيد ولا ينقص
غير مسلم والمعلوم بالمشاهدة خلافه فكثيرا ما يزيد فيحدث ضررا عظيما. او ينقص
فتهلك الزروع وتقل الفلال وتحدث المجاعات وقد علم البشر من سنن الله في ذلك
في عصرنا أكثر مما كان يعلم من قديم ولا يزالون يحفلون منها اضعاف ما علموا

المقام الثاني

ان يقال : العرش سواء كان هذا الفلك التاسع ، أو جسماً محيطاً بالفلك التاسع ، أو كان فوقه من جهة وجه الارض محيطاً به ، أو قيل فيه غير ذلك ، فيجب ان يعلم ان العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى (وما قدرُوا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض ؟ » وفي الصحيحين - واللفظ لمسلم - عن عبد الله بن عمر : قال قل رسول الله ﷺ « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : انا الملك ، أين الجبارون أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الارضين بشماله ، ثم يقول : انا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ؟ » وفي لفظ في الصحيح عن عبد الله بن مقسم انه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي ﷺ قال « يأخذ الله سماوته وأرضه بيده ويقول : انا الملك ، ويقبض اصابعه ويبسطها ، انا الملك » حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله ﷺ وفي لفظ قال « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول يأخذ الجبار سماوانه وأرضه - وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها - ويقول انا الرحمن ، انا الملك ، انا السلام ، انا المؤمن ، انا المهيمن ، انا العزيز ، انا الجبار المتكبر ، انا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئاً ، انا الذي اعدتها أين الملوك ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » ويتميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني لأقول اساقط

هو برسول الله ﷺ؟ والحديث مروي في الصحيح والمسانيد وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضاً ، وفي بعض ألفاظه قل : قرأ على المنبر (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية، قال « مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة » وفي لفظ « يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده فيجعلها في كفه ثم يقول بها هكذا كما يقول الصبيان بالكرة. نا الله الواحد » وقال ابن عباس « يقبض عليهما فما يرى طرفهما بيده » وفي لفظ عنه « ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن بيد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم » وهذه الآثار معروفة في كتب الحديث وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : أتى النبي ﷺ رجل يهودي ، فقال : يا محمد ان الله يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والجبال والشجر على اصبع ، والماء والنرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، فيهنهن فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، قل : فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر^(١) ثم قال (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) إلى آخر الآية .

ففي هذه الآية والاحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين أن السموات والارض وما بينهما بالنسبة إلى عظمة الله تعالى أصغر من أن يكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة^(٢)

(١) قوله تصديقاً لقول الخبر قال بعض شراح الصحيحين ان هذه زيادة من الراوي قلها بحسب فهمه ، وهي ليست في كل الروايات وانكروا ان يكون (ص) صدق اليهودي بل قالوا انه اراد الانكار عليه وتلا الآية الدالة على ذلك . وخالفهم آخرون فراجع الاقوال في شرح الحديث من كتاب التوحيد في فتح الباري (٢) دحا الكرة يدحوها دحرجها

قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون الامام - فظير مالك - في كلامه المشهور الذي رد فيه على الجهمية ومن خلفها^(١) قول: فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين في الارض حيران، فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بان قال: لا بد ان كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمي عن البين بالخفي، فجحد ما سمى الرب من نفسه فصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يمثل له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا الله أفصل كرامته التي أكرم الله أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونظرته له بإبهم (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون - إلى أن قل - وإنما جحدوا رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة، لانه قد عرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً.

وقال المسلمون: يا رسول الله، هل ترى ربنا؟ فقال رسول الله ﷺ «هل تضارون^(٢) في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا لا، قل: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا لا، قل: «فإنكم ترون ربكم كذلك» وقال رسول الله ﷺ «لا تمتلي النار حتى يضع الجبر فيها قدمه فتقول قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض»

(١) أي من جاء بعد الجهمية ممن يقول قولهم (٢) يروي بتشديد الراء وتخفيفها. فالتشديد بمعنى لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر إليه لوضوحه وظهوره. وقال الجوهري: أراد بالمضارة الاجتماع والازدحام عند النظر إليه. وأما التخفيف فهو من الضير وهو لغة في الضر

وقل لثابت بن قيس « قد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا عنه « إن الله يضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم »^(١) وقال له رجل من العرب : إن ربنا يضحك ؟ قال « نعم » قل : لن نعلم من رب يضحك خيراً . وفي أشباه لهذا مما لم نحصه . وقال تعالى (وهو السميع البصير * واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وقال (وتضع على عيني) وقال (مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظيرها منهم عندهم أن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم . فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله سميانه كما سماه ، ولم نتكلف منه علم ما سواه لا هذا ولا هذا ، لان مجرد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف . انتهى

واذا كان كذلك فذا قدر أن المخلوقات كالكرة فهذا قبضه لها ورميه بها . وانما بين لنا من عظمتها وصغر المخلوقات بالنسبة اليه ما يعقل نظيره منا ثم الذي في القرآن والحديث يبين أنه إن شاء قبضها وفعل بها ما ذكر كما يفعل ذلك يوم القيامة ، وإن شاء لم يفعل ذلك ، فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفي ذلك من الاحاطة بها ما لا يخفى ، وإن شاء لم يفعل ذلك ، وبكل حال فهو مبين لها ليس بمحايت لها .

ومن المعلوم ان الواحد منا .. والله المثل الاعلى . اذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها فأحاطت بها قبضته ، وإن شاء لم يقبضها بل حولها تحته فهو في الحالتين مبين لها ، وسواء قدر ان العرش هو محيط بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها أو قيل

(١) قال في النهاية: هكذا يروى في بعض الطرق . والمعروف « من إلكم » والال والازل بالفتح الشدة والضيقة كأنه أراد من شدة بأسكم وقنوطكم

انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذي نحن عليه بالنسبة إلى جوفها
وكالقبة بالنسبة إلى ماتحتها او غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخوقات
والخالق سبحانه وتعالى فوقه ، والعبد في توجهه إلى الله يقصد العلو دون التحت
وتمام هذا ببيان (المقام الثالث) وهو أن يقول لا يخلو إما أن يكون العرش كرياً
كالافلاك ويكون محيطاً بها ، وإما أن يكون فوقها وليس هو كرياً ، فإن كان الأول
فمن المعلوم باتفاق من يعلم هذا أن الافلاك مستديرة كرية الشكل وإن الجهة العليا
هي جهة المحيط وهو المحذب ، وأن الجهة السفلى هي المركز^(١) وليس للافلاك إلا
جهتان العلو والسفل فقط

وأما الجهات الست فهي للحيوان فإن له ستة جوانب يؤم جهة فتكون أمامه
ويخلف أخرى فتكون خلفه ، وجهة تحاذي يمينه وجهة تحاذي شماله ، وجهة تحاذي
رأسه ، وجهة تحاذي رجله . وليس لهذه الجهات الست في نفسها صفة لازمة ، بل
هي بحسب النسبة والاضافة ، فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا ، ويكون أمام
هذا ما يكون خلف هذا ، ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا . لكن جهة العلو
والسفل للافلاك لا تتغير ، فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل ، مع أن وجه الارض

(١) أي لمركز الوسط من الداخل وهو المقعر الذي تكون جوانب المحيط
بالنسبة إليه متساوية إذا كان المحيط متساوياً كمحيط انفلك عندهم لأنه كرة تامة
وأما الارض فهي كرة غير تامة لأن في محيطها تسطيحاً وانبطاحاً من جانبي قطبيها
الشمال والجنوبي فمركزها أقرب إليهما منه إلى سطح الاقاليم الاستوائية وناهيك
بما فيها من الجبال ، ولكن المركز هو جهة السفل لها من كل جانب والسطح محيطها
وهو جهة العلو من كل جانب ، وأما جهة العلو لمن على سطحها كالإنسان فهو ما فوق
رأسه من السماء أينما كان

التي وضعها الله الانام وأرساها بالجبال هو الذي عليه الناس والبهائم والشجر والنبات والجبال والانهار الجارية .

فما الناحية الاخرى من الارض فلبحر محيط بها وليس هناك شيء من الادميين وما يتبعهم . ولو قدر ان هناك أحد لكان على ظهر الارض ولم يكن من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة ، ولا من في هذه تحت من في هذه . كما ان الافلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر ، ولا القطب الشمالي تحت الجنوبي ولا بالعكس ، وإن كان الشمالي هو الظاهر لما فوق الارض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء ، فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلاً كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة وهو الذي يسمى عرض البلد . فكما ان جوانب الارض المحيطة بها وجوانب الفلك المستدير ليس بعضها فوق بعض ولا تحته ، فكذلك من يكون على الارض من الحيوان والنبات لا يقل انه تحت أولئك ، وانما هذا خيل يتخيله لانسان ، وهو تحت اضافي ، كما لو كانت نملة تمشي تحت سقف فليسقف فوقها وإن كانت رجلاها تحاذيه ، وكذلك من علق منكوساً فانه تحت السماء ، وإن كانت رجلاه على السماء ، وكذلك قد يتوهم الانسان اذا كان في أحد جانبي الارض او الفلك ان الجانب الآخر تحته (١)

(١) كل ما قاله شيخ الاسلام في الارض فهو مبنى على كونها كرة كما جزم به علماء الهيئة المتقدمون والمتأخرون ومن اطاع على هذا العلم وفهمه من علماء الاسلام الاعلام . وهذه مسألة قطعية لاطنية ، وصرح بها ابن القيم من علماء الحديث بالتبع لاستاذ المؤلف وللإمام ابن حزم واقتناعاً بأدلتها ويدل عليه قوله تعالى (يكور الليل على النهار) الآية فان التكوير هو اللف على الجسم الكروي المستدير كتكوير العمامة على الرأس ، وكذا قوله تعالى ﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ فان الدحو في أصل اللغة دحرجة الكرة وما في معناها . ولا يعارضه قوله تعالى ﴿ واذا الارض سطحت ﴾ كما توهم الجلال وغيره لان وجه الكرة سطح لها والسطح في اللغة اعم منه في عرف أهل الهندسة وكذلك الخط

وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول إن الافلاك مستديرة ، واستدارة الافلاك كما انه قول أهل الهيئة والحساب فهو الذي عليه علماء المسلمين كما ذكره ابو الحسين بن المنادى وأبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهم انه متفق عليه بين علماء المسلمين ، وقد قال تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) قال ابن عباس في فلكة مثل فلكة المغزل ، والفلك في اللغة هو المستدير ^(١) ومنه قولهم : تفلك ثدي الجارية اذا استدار . وكل من جعل الافلاك مستديرة يعلم أن المحيط هو العالي على المركز في كل جانب . ومن توهم أن من يكون في الفلك من ناحيته يكون تحته من في الفلك من الناحية الاخرى في نفس الامر فهو متوهم عندهم .

واذا كان الامر كذلك فاذا قدر ان العرش مستدير محيط بالخرى لوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا فلا يترجيه اليه وإلى ما فوقه الانسان إلا من العلو لا من جهته الباقية أصلا .

ومن توجه إلى الفلك التاسع أو الثامن أو غيره من الافلاك من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء ، فكيف بالتوجه إلى العرش أو إلى ما فوقه ، وغاية

(١) هذا معناه العام . وأما معناه الخاص بالكواكب فهو مدار الكواكب كما تقدم في حاشية (ص ١١٦) وهو مستدير على كل حال سواء كان كما قال المتقدمون من اليونان والعرب أم كان فضاء فما نقله شيخ الاسلام من اتفاق علماء المسلمين على استدارة الافلاك صحيح على كل حال فان الكواكب كلها مستديرة كرية الشكل وافلاكها التي تدور فيها كذلك ، والعالم كله كروي الشكل ، وكل جرم من اجرامه يسبح دائراً في فلك له مستدير بنظام حسابي مطرد كما قال تعالى (الشمس والقمر بحسبان)

ما يقدر أن يكون كرتي الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها احاطة تابق بجلاله^(١)
 فإن السموات السبع في يده أصغر من الخصلة في يد أحدنا
 وما قول القائل : إذا كان كرايا والله من ورائه محيط به بائن عنه، فما فائدة
 أن العبد يتوجه إلى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون التحت، فلا فرق
 حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالذاعي؟ ومع
 هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلو، لانلتمت يمنة ولا يسرة فاخبرونا عن هذه
 الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها؟

فيقال له : هذا السؤال انما ورد لتوهم التوهم ان نصف الفلك يكون تحت
 الارض وتحت ما على وجه الارض من الآدميين والبهائم، وهذا غلط عظيم،
 فلو كان الفلك تحت الارض من جهة لكان تحتها من كل جهة، فكان يلزم ان
 يكون الفلك تحت الارض مطلقاً، وهذا قلب للحقائق، إذ الفلك هو فوق
 الارض مطلقاً، واهل الهيئة يقولون : لو أن الارض مخروقة إلى ناحية ارجلنا
 والتي في الحرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلى المركز، حتى لو أتني
 من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعاً في المركز^(٢)، ولو قدر أن انسانين التقيا
 في المركز بدل الحجر لالتقت رجلاهما ولم يكن احدهما تحت الآخر بل كلاهما
 فوق المركز وكلاهما تحت الفلك كالمشرق والمغرب، فانه لو قدر أن رجلاً بالمشرق

(١) اما دليل احاطته فقوله عز وجل (والله من ورائهم محيط) واما قوله :
 احاطة تابق بجلاله فإني التشبيه باحاطة الاجسام بعضها ببعض، على قاعدة السلف التي
 قررها شيخ الاسلام مرراً وهي الايمان بانصوص من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل
 (٢) هذا متفق عليه بين المتقدمين والمتأخرين من علماء الفلك ويعلمون به
 جاذبية الثقل فهي تختلف بسدر بعد المحيط عن المركز وهو يختلف في المنطقة
 الاستوائية عن منطقتي القطبين كما اشرنا اليه في حاشية (ص ١٢٢)

في السماء او الارض ، ورجلا بالمغرب في السماء او الارض لم يكن احدهما تحت الآخر ، وسواء كان رأسه او رجلاه او بطنه او ظهره او جنبه مما يلي السماء او مما يلي الارض ، واذا كان مطلوب أحدهما مافوق الفلك لم يطلبه الآخر الا من الجهة العليا ، لم يطلبه من جهة رجله او يمينه او يساره . لوجهين :

(أحدهما) ان مطلوبه من الجهة العليا أقرب اليه من جميع الجهات ، فلو قدر رجل او ملك يصعد الى السماء او إلى مافوق كان صعوده مما يلي رأسه اذا أمكنه ذلك ولا يقول عاقل انه يخرق الارض ثم يصعد من تلك الناحية ، ولا انه يذهب بميا او شمالا او اماما او خلفا الى حيث امكن من الارض ثم يصعد ، لأن أي مكان ذهب اليه كان بمنزلة مكانه او هو دونه ، وكان الفلك هناك فوقه ، فيكون ذهابه الى الجهات الخمس تطويلا وتعباً من غير فائدة ، ولو ان رجلا أراد أن يخاطب الشمس والقمر فانه لا يخاطبه إلا من الجهة العليا ، مع ان الشمس والقمر قد تشرق وقد تغرب فتتحرف عن سمت الرأس ، فكيف بما هو فوق كل شيء دائماً لا يأفل ولا يغيب سبحانه وتعالى ؟ وكما ان الحركة كحركة الحجر تطلب مركزها باقصر طريق وهو الخط المستقيم ، فالطلب الارادي الذي يقوم بقلوب العباد كيف يعدل عن الصراط المستقيم القريب ؟ ويعدل الى طريق منحرف طويل ؟ والله فطر عباده على الصحة والاستقامة إلا من اجتالته الشياطين فأخرجته عن فطرته التي فطر عليها

(الوجه الثاني) انه إذا قصد السفلى بلا علو كان منتهى قصده المركز ، وإن قصده أمامه أو ورائه أو يمينه أو يساره من غير قصد العلو كان منتهى قصده أجزاء الهواء . فلا بد له من قصد العلو ضرورة ، سواء قصد مع ذلك هذه الجهات أو لم يقصدها ، ولو فرض أنه قال : أقصده من اليمين مع العلو ، أو من السفلى مع العلو كان هذا

بمنزلة من يقول ، أريد أن أحج من الغرب فاذهب إلى خراسان (١) ، ثم أذهب إلى مكة ، بل بمنزلة من يقول أصعد إلى الافلاك فانزل في الارض لاصعد إلى الفلك من الناحية الاخرى ، فهذا وان كان ممكناً في المقدار ، لكنه يستحيل من جهة امتناع ارادة القاصد له ، وهو مخالف للفطرة ، فان القاصد يطلب مقصوده بأقرب طريق لا سيما اذا كان مقصوده معبوده الذي يعبد ويتوكل عليه . وإذا توجه إليه على غير السراط المستقيم كان مسيره منكوساً معكوساً .

وأيضاً فان هذا الجمع في سيره وقصده بين النفي والاثبات بين أن يتقرب إلى المقصود ويتباعد عنه ، ويريده وينفر منه ، فانه اذا توجه إليه من الوجه الذي هو عنه أبعد وأقصى ، وعدل عن الوجه الاقرب الأدنى ، كان جامعاً بين قصدين متناقضين ، فلا يكون قصده له تاماً ، اذ القصد التام ينفي تقيضه وضده ، وهذا معلوم بالفطرة ، فان الشخص اذا كان يحب النبي ﷺ محبة تامة ويقصده أو يحب غيره مما يحب - سواء كانت محبة محودة أو مضمومة - ومتى كانت المحبة تامة ، وطلب المحبوب طلبه من أقرب طريق يصل إليه (٢) بخلاف ما اذا كانت المحبة مترددة مثل أن يحب ما يكره محبته في الدين فتبقى شهوته تدعوه إلى قصده وعقله

(١) اي من الشام - حيث كان المؤلف - إلى خراسان ، ومعلوم أن مكة في الجهة الجنوبية للشام وخراسان في الجهة الشرقية فلذهاب من الشام غرباً إلى خراسان في الشرق ثم إلى مكة ممكن لان الارض كرة ولكن هذا عمل لا يعمل من لا يريد بطواف أكثر محيط الارض الا مكة للحج الا ان يكون مجنوناً . وانما يفعل الماقل اذا كانت الرحلة إلى هذه الاقطار مقصودة لذاتها

(٢) قوله طلبه من أقرب طريق الخ جواب اذا ومتى اي اذا كان يجب ماذا ومتى كانت محبته له تامة وطلبه بمقتضاها طلبه من اقرب طريق ، وفيه ما ترى من التعقيد

ينهاه عن ذلك قتره يقصده من بعيد ، كما يقول العامة : رجل الى قدام ، ورجل الى خلف (١) وكذلك اذا كان في دينه نقص وعقله يأمره بقصد المسجد أو الجهاد أو غير ذلك من المقصودات التي تحب في الدين ، وتكرهها النفس ، فانه يبقى قاصداً لذلك من طريق بعيد : متباطئاً في السير ، وهذا كله معلوم بالفطرة وكذلك اذا لم يكن القاصد يريد الذهاب بنفسه ، بل يريد خطاب المقصود ودعائه ونحو ذلك . فانه يخاطبه من أقرب جهة يسمع دعاءه منها وينال به مقصوده اذا كان القصد تاماً ، ولو كان رجلاً في مكان عال ، وآخر يناديه لتوجه اليه وناداه ولوحط رأسه في بئر وناداه بحيث يسمع صوته لكان هذا ممكناً ، لكن ليس في الفطرة ان يفعل ذلك من يكون قصده اسماءه من غير مصلحة راجحة ولا يفعل نحو ذلك الا عند ضعف القصد ونحوه .

وحديث الادلاء الذي روي من حديث أبي هريرة وأبي ذر قد رواه الترمذي وغيره من حديث الحسن عن أبي هريرة وهو منقطع ، فان الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، ولكن يقويه حديث أبي ذر المرفوع ، فان كان ثابتاً فمعناه موافق لهذا (٢) فان قوله « لو أدلى أحدكم بجبل لهبط على الله » انما هو تقدير مفروض : لو وقع الادلاء لوقع عليه ، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئاً لانه عال بالذات ، واذا هبط شيء الى جهة الارض وقف في المركز ولم يصعد إلى

(١) مأخوذ من المثل العربي : مالي اراك تقدم رجلاً وتؤخر أخري

(٢) ان شيخ الاسلام يعلم ان الحديث غير ثابت وتقوية الضعيف للضعيف لا يعتمد بها في ثبوت حكم شرعي فعدم الاعتداد بها في صفات الله أولى ولا سيما هذه التشابهات . ولكنه يجيب عن الاشكال فيه بفرض وقوعه وعبر عنه بقوله ان كان ثابتاً لان الاصل في شرط « ان » عدم الوقوع لامتناعه أو لتزيله منزلة الممتنع كما حققناه في تفسيره (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) من جزء التفسير الاول

الجهة الاخرى لنكن بتقدير فرض الادلاء ، لا يكون ماذكر من الجزاء .

فهكذا ما ذكره السائل إذا قدر أن العبد يقصده من تلك الجهة كان هو سبحانه يسمع كلامه ، وإن كان متوجهاً اليه بقلبه ، لكن هذا ما يمتنع من الفطرة . لأن قصده للشيء التام ينافي قصد ضده . فكما أن الجهة العليا بالذات تنافي الجهة السفلى ، فكذلك قصد الاعلى بالذات ينافي قصده من أسفل ، فكما أن ما يهبط إلى جوف الارض يمتنع صعوده إلى تلك الناحية لأنها عالية فترد الهابط بعلوها ، كما أن الجهة العليا من عندنا ترد ما يصعد اليها من اثقل فلا يصعد الثقل إلا برافع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط ، فكذلك ما يهبط من أعلى الارض إلى أسفلها وهو المركز ، لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه إلا برافع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط إلى المركز ، فإن قرأ أن الرافع أقوى كان صاعداً به إلى العلك من تلك الناحية ، وصعد به إلى الله .

وانما يسمى هبوطاً باعتبار ما في اذهان المخاطبين أن ما يحاذي أرجلهم يكون هابطاً ويسمى هبوطاً مع تسمية إهاباطه ادلاء ، وهو انما يكون ادلاء حقيقياً إلى المركز ، ومن هناك انما يكون مدخلاً للحبل والدلو لا ادلاء له (١)

لكن الجزاء والشرط مقدران لا محققان ، فإنه قل : لو أدلى لهبط ، أي لو فرض أن هناك هبوطاً وهو يكون ادلاء وهبوطاً إذا قدران السموات تحت الارض . وهذا التقدير متنفذ ولكن فائدته بيان الاحاطة والعلو من كل جانب وهذا المفروض ممتنع في حقنا لا تقدر عليه ، فلا يتصور أن يهبط على الله شيء

(١) كذا في الاصل والمدح لا يظهر معناه هنا والذي يقتضيه المقام أن يقال إن ما يمد أو يدفع من مركز الكرة إلى أي جانب من المحيط يكون مده أو دفعه رفعا واءلاء له لا ادلاء ، لأن المركز هو الاسفل والمحيط هو الاعلى كما تقدم

لكن الله قادر على أن يخرق من هنا إلى هناك بحبل ، ولكن لا يكون في حتمه ادلاء فلا يكون في حقه هبوطا عليه ، كما لو خرق بحبل من القطب او من مشرق الشمس الى مغربها ، وقدردنا ان الحبل مر في وسط الارض فان الله قدر على ذلك كله ، ولا فرق بالنسبة اليه على هذا التقدير بين أن يخرق من جانب اليمين منا الى جانب اليسار ، او من جهة امامنا الى جهة خلفنا ، و من جهة رؤوسنا إلى جهة أرجلنا اذا مر الحبل بالارض . فعلى كل تقدير قد خرق بالحبل من جانب المحيط الى جانبه الآخر مع خرق المركز وتقدير احاطة قبضته بالسموات والارض . فالحبل الذي قدرانه خرق به العالم وصل اليه ، ولا يسمى شيء من ذلك بالنسبة اليه لا ادلاء ولا هبوطا

واما بالنسبة اليها فن ماتحت أرجلنا نحت لنا ، وما فوق رؤوسنا فوق لنا ، وما ندليه من ناحية رؤوسنا الى ناحية أرجلنا نتخيل انه هابط (١) فاذا قدر ان أحدنا أدلى بحبل كان هابطا على ما هناك ، لكن هذا تقدير ممتنع في حقنا

والمقصود به بيان احاطة الخالق تعالى كما بين انه يقبض السموات ويطوي الارض ونحو ذلك مما فيه بيان احاطته بالخلق ، ولهذا قرأ في تمام هذا الحديث (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

وهذا كله كلام على تقدير صحته فان الترمذي لما رواه قال : وفسره بعض أهل العلم بأنه هبط على علم الله

وبعض الحلولية والأتحادية يظن ان في هذا الحديث ما يدل على قولهم الباطل وهو انه حل بذاته في كل مكان ، او ان وجوده وجود الامكنة ونحو ذلك

وانت تحقيق ان الحديث لا يدل على شيء من ذلك ان كان ثابتاً ، فان قوله « لو

(١) قوله نتخيل انه هابط — انما سمي هذا تخيلاً لأن الجهات الست المذكورة أمور نسبية لاحقيقة ثابتة في نفسها .

دلي بحبل لمبط» يدل على انه (١) ليس في المدلي ولا في الحبل ولا في الدلو ولا في ير ذلك . وإنما يقتضي انه من تلك الناحية ،

وكذلك تأويله بالعالم تأويل ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهمية . بل تقدير ثبوته يكون دالا على الاحاطة ، والاحاطة قد علم ن الله قادر عليها ، وعلم انها تكون يوم القيامة بالكتاب والسنة (٢) فليس في اثباتها في الجملة ما يخالف العقل ولا الشرع ، لكن لا نتكلم الا بما نعلم ، وما لم نعلمه أمسكنا عنه ، وما كان مقدمة دليله مشكوكا فيها عند بعض الناس ، كن حقه أن يشك فيه حتى يتبين له الحق ، والا فليست عما لا يعلم

واذا تبين هذا ، فكذلك قصده بقصده الى تلك الناحية ، ولو فرض انا فعلناه اسكننا قاصدين له على هذا التقدير لكن قصدنا له بان قصد الى تلك الجهة ممنوع في حقنا لان القصد التام الجازم يوجب طلب المقصود بحسب الامكان ولهذا قد بينا في غير هذا الموضع لما تكلمنا على تنازع الناس في النية المجردة عن الفعل هل يعاقب عليها ام لا يعاقب ؟ بينا ان الارادة الجازمة توجب ان يفعل المرید ما يقدر عليه من المراد . ومتى لم يفعل مقدوره لم تكن ارادته جازمة . بل يكون هما « ومن هم بسيئة فلم يفعلها لم تكتب عليه فن تركها الله كتب له حسنة » . ولهذا وقع الفرق بين هم يوسف عليه السلام وهم امرأة العزيز كما قال الامام احمد : « اللهم ههنا : هم خطرات ، وهم إصرار ، فيوسف عليه السلام هم ما تركه الله

(١) الضمير راجع الى الله تعالى يعني انه لو كان تعالى في هذه الاشياء أو لو كان عنها لما صح التعبير الذي بني على ان هنالك حبلا ودلوا وانما ما مدليا للدلو المعاق بالحبل وان غاية فعله وصول الحبل الى الله الذي هو غير ما ذكر

(٢) قوله بالكتاب والسنة متعلق بعلم

فأثيب عليه ، وذلك همتهم إصرار ففعلت ما قدرت عليه من تحصيل مرادها
ون لم يحصل لها المطلوب ،

والذين قالوا يعاقب بالارادة حتجوا بقوله ﷺ « إذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالأقرب والمقتول في النار » قالوا يارسول الله هذا القتل فما بال المقتول ؟ قال
« إنه أراد قتل صاحبه » وفي لفظ « إنه كان حريصا على قتل صاحبه » فهذا أراد
ارادة جازمة وفعل ما يقدر عليه وان لم يدرك مطلوبه ، فهو بمنزلة امرأة العزيز ،
فحتى كان القصد جازما لم ان يفعل القاصد ما يقدر عليه في حصول المقصود ،
وإذا كان قادراً على حصول مقصوده بطريق مستقيم امتنع مع القصد التام ان
يحصله بطريق معكوس بعيد

ولهذا امتنع في فطر العباد عند ضرورتهم ودعائهم لله تعالى وتعالى قصدهم
له ان يتوجهوا اليه إلا توجهها مستقيماً ، فيتوجهون إلى العلودون سائر الجهات ، لانه
الصراط المستقيم القريب ، وما سواه فيه من البعد والانحراف والطول مافيه ، فع
القصد التام الذي هو حال الداعي العابد والسائر المضطر يمتنع ان يتوجه اليه الا
إلى العلو ، ويمتنع ان يتوجه اليه إلى جهة أخرى ، كما يمتنع ان يدلي بحبل بهبط عليه ،
فهذا هذا والله أعلم .

وأما من جهة الشريعة فان الرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتكميل الفطرة
وتقريرها ، لا بتبديل الفطرة وتغييرها . قال ﷺ في الحديث المتفق عليه « كل
مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة
بهيمة جمعاء » أي مجتمعة الخلق سوية الاطراف ليس فيها نقص كجدع وغيره « هل
ترون فيها من نقص ؟ هل تحسون فيها من جدعاء »

وقال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا
تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . فجاءت

الشرعية بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة، بخلاف ما عليه أهل الضلال من المشركين والصائبين المتفلسفة وغيرهم فهم غيروا الفطرة في العلم والارادة جميعا، وخالفوا العقل والنقل، كما قد بسطنا في غير هذا الموضع

وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه ان النبي ﷺ قال «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه، ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا، ولا عن يساره أو تحت رجله» وفي رواية أنه اذن ان يبصق في ثوبه، وفي حديث أبي رزين المشهور الذي رواه عن النبي ﷺ لما أخبر النبي ﷺ «انه ما من أحد إلا سيخلو به ربه» فقال له أبو رزين : كيف يسمعنا يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال «سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر آية من آيات الله كلكم يراه مخليا به، فالله أكبر» ومن المعلوم ان من توجه إلى القمر وخاطبه إذا قدر ان يخاطبه لا يتوجه اليه إلا بوجهه مع كونه فوقه. ومن الممتنع في الفطرة ان يستدبره ويخاطبه مع قصده التام له وان كان ذلك ممكنا، وانما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته كما يفعل من ليس مقصوده التوجه إلى شخص بخطاب فيعرض عنه بوجهه أو يخاطب غيره لسمع هو الخطاب، فاما مع زوال المنع فانما يتوجه إليه، فكذلك العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه يستقبل ربه وهو فوقه فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله، ويدعوه من العلو لا من السفلى، كما إذا قدر انه يخاطب القمر

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم في الصلاة أو لا ترجع اليهم أبصارهم» واتفق العلماء على ان رفع المصلي بصره إلى السماء منهي عنه، وروى احمد عن محمد بن سيرين أن النبي ﷺ كان يرفع بصره في الصلاة إلى السماء حتى أنزل الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) فكان بصره لا يجاوز موضع سجوده

فهذا مما جاءت به اشريعة تكميلاً لفطرة، لان الداعي السائل الذي يؤمر
بانخشوع - وهو انذل والسكون - لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه
ويسأله، بل يناسب حاله الاطراق وغنى البصر أمامه. وليس نهى الصلي عن رفع
بصره في الصلاة رداً على أهل الاثبات الذين يقولون انه على العرش كما يظنه
بعض جهل الجهمية، فان الجهمية عندهم لا فرق بين العرش وقعر البحر فالجميع سواء،
ولو كان كذلك لم ينه عن رفع البصر إلى جهة ويؤمر برده إلى أخرى لان هذه
وهذه عند الجهمية سواء

وأيضاً فلو كان الامر كذلك لكان النهي عن رفع البصر شاملاً للجميع أحوال
اعبد . وقد قل تعالى (قد ترى قلب وجبك في السماء) فليس العبد بمنهي عن
رفع بصره مطلقاً ، وإنما نهى في الوقت الذي يؤمر فيه بانخشوع لان خفض
البصر من تمام الخشوع ، كما قل تعالى (خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث)
وقال تعالى (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي)
وأيضاً فلو كان النهي عن رفع البصر إلى السماء ونيس في السماء إله لكان
لا فرق بين رفعه إلى السماء ورده إلى جميع الجهات

ولو كان مقصوده أن ينهى الناس أن يعتقدوا أن الله في السماء أو يقصدوا
بقلوبهم التوجه إلى العلو لبيان لهم ذلك كما بين لهم سائر الاحكام، فكيف وليس في
كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في قول سلف الامة حرف واحد يذكر فيه انه
ليس الله فوق العرش ، أو انه ليس فوق السماء ، أو انه لا داخل العالم ولا خارجه ،
ولا محايث له ، ولا مباين له ، أو انه لا يقصد العباد إذ دعاه العلو دون سائر
الجهات؟؟ بل جميع ما يقوله الجهمية من النفي وزعمون انه الحق ليس معهم به حرف
من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الامة وأئمتها، بل الكتاب
والسنة وأقوال اسلف ولائمة مملوءة بما يدل على نقض قولهم ، وهم يقولون ان
ظاهر ذلك كفر فنؤول او نفوض .

فعلى قولهم ليس في الكتاب والسنة وأقوال السلف ولائمة في هذا الباب إلا مظاهره ككفر، وإيس فيها من الإيمان في هذا الباب شيء.

والسبب الذي يزنون أنه الحق الذي يجب على المؤمن أو خواص المؤمنين اعتقاده عندهم، لم ينطق به رسول ولا نبي ولا أحد من ورثة الأنبياء والمرسلين، والذي نطق به الأنبياء وورثتهم ليس عندهم هو الحق بل هو مخالف للحق في الظاهر، بل حذاقهم يعلمون^(١) أنه مخالف للحق في الظاهر والباطن، لكن هؤلاء منهم من يزعم أن الأنبياء لم يكنهم أن يخاطبوا الناس إلا بخلاف الحق الباطن فلبسوا أو كذبوا المصلحة العامة

فيقال لهم: فهلا نطقوا بالباطن لخواصهم الأذكياء الفضلاء إن كان ما تزعمونه حقاً؟ وقد علم أن خواص الرسل هم على الإثبات أيضاً وأنه لم ينطق بالنفي أحد منهم إلا أن يكذب على أحدهم كما بقل عن عمر: أن النبي ﷺ وأبا بكر كانا يتحدثان وكنت كترنحني بينهما. وهذا مختلف باتفاق أهل العلم، وكذلك ما نقل عن علي وأهل بيته أن عندهم علما باطناً يختلف عن الظاهر الذي عند جمهور الأمة وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن علي رضي الله تعالى عنه أنه لم يكن عندهم عن النبي ﷺ شيء ليس عند الناس، ولا كتاب مكتوب إلا ما كان في الصحيفة، وفيها لديات وفكك الأسير، وإن لا يقتل مسلم بكافر^(٢)

ثم أنه من المعلوم أن من جملته الله هادياً مبلغاً بلسان عربي مبين إذا كان

(١) لعل أصل هذه الكلمة يعتقدون لأنه ليس للجهمية علم بذلك بل ظن ولادته نظرياتهم الباطلة التي بين الشيخ بطلانها في عدة مواضع من كتبه

(٢) ونحرير المدينة كمكة. وهذه الصحيفة كتب بها هذه المسائل التي سمعها من النبي ﷺ وكانت معلقة في سيفه وقد ذكر البخاري حديثه في عدة من كتبه أولها كتاب العلم

١٢٦ كل ما ثبت عن الرسول في صفات الله وغيره احق لا يعارضه الفعل الصحيح

لا يتكلم أبداً قط إلا بما يخلف الحق الباطن الحقيق فهو إلى الضلال والتدليس أقرب منه إلى الهدى والبيان ، وبسط لرد عليهم له موضع غير هذا

والمقصود أن ماجاء عن النبي ﷺ في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضاً وهو موافق لفطرة الخلائق وما جعل فيهم من العقول الصريحة ، وليس العقل الصحيح ولا الفطرة المستقيمة بمعارضة النقل اثبات عن رسول الله ﷺ ، فتما يظن تعارضهما من صدق بباطل من المنقول وفهم منه ما لم يدل عليه ، أو اذا اعتقد شيئاً ظنه من العقليات وهو من الجهاليات ، أو من المكشوفات وهو من المكشوفات ، اذا كان ذلك معارضا لمنقول صحيح ، وإلا عارض بالعقل الصريح ، أو الكشف الصحيح ، ما يظنه منقولاً عن النبي ﷺ ويكون كذبا عليه ، أو ما يظنه لفظاً دالا على معنى ولا يكون دالا عليه ، كما ذكره في قوله ﷺ « الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صاحفه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » حيث ظنوا أن هذا وأمثاله محتاج إلى التأويل ، وهذا غلط منهم لو كان هذا اللفظ ثابتاً عن النبي ﷺ فان هذا اللفظ صريح في أن الحجر الاسود ليس هو من صفات الله إذ قل هو « يمين الله في الارض » فتقييده بالارض يدل على أنه ليس هو يده على الإطلاق فلا يكون اليد الحقيقية . وقوله « فمن صاحفه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » صريح في أن مصاحفه ومقبله ليس مصاحفاً لله ولا مقبلاً ليمينه لأن المشبه ليس هو المشبه به ، وقد أتى بقوله « فكأنما » وهي صريحة في التشبيه . واذا كان اللفظ صريحاً في أنه جعله بمنزلة اليمين لأنه نفس اليمين ، كان من اعتقد أن ظاهره أنه حقيقة اليمين ، قاتلاً لا كذب اليمين .

فهذا كله بتقدير أن يكون العرش كروي الشكل سواء كان هو الفلك التاسع أو غير الفلك التاسع . وقد تبين أن سطحه هو سقف المخلوقات وهو العالي عليها من جميع الجوانب وأنه لا يجوز أن يكون شيء مما في السماء والارض فوقه ، وإنما قصد إلى ما فوق العرش بهذا التدبير إنما يقصد إلى العلو لا يجوز في الفطرة لا الشريعة مع تمام قصده أن يقصد جهة أخرى من جهاته الست ، بل هو ايضا

يستقبله بوجهه مع كونه أعلى منه كما ضرب به النبي ﷺ من المثل بالتمر والله المثل الأعلى وبين ان مثل هذا إذا جاز في التمر وهو آية من آيات الله فالخالق اعلى وأعظم

*
* *

وأما إذا قدر أن العرش ليس كروي الشكل بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجهه، وأنه فوق الافلاك الكرية كما ان وجه الارض الموضوع الانام فوق نصف الارض الكري، أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها ان العرش فوق ما سواه وليس كروي الشكل، فعلى كل تقدير لا يتوجه إلى الله إلا إلى العلو لا إلى غير ذلك من الجهات فقد ظهر انه على كل تقدير لا يجوز أن يكون التوجه إلى الله إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مبايناً لخلقه، وسواء قدر مع ذلك انه محيط بالخلوقات كما يحيط بها إذا كانت في قبضته أو قدر مع ذلك انه فوقها من غير أن يقبضها ويحيط بها فهو على التقديرين يكون فوقها مبايناً لها.

فقد تبين انه على هذا التقدير في الخالق وهذا التقدير في العرش لا يلزم شيء من المحذور والتناقض، وهذا يزيل كل شبهة. وانما تنشأ الشبهة من اعتقادين فاسدين (أحدهما) أن يظن أن العرش اذا كان كريا والله فوقه وجب أن يكون الله كريا، ثم يعتقد انه إذا كان كريا فيصح التوجه إلى ما هو كروي كالفلك التام من جميع الجهات وكل من هذين الاعتقادين خطأ وضلال فان الله تعالى مع كونه فوق العرش ومع القول بأن العرش كروي سواء كان هو التام أو غيره لا يجوز ان يظن انه مشابه للافلاك في أشكالها، كما لا يجوز ان يظن انه مشابه لها في اقدارها، ولا في صفاتها (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً)

بل قد تبين انه اعظم وأكبر من ان تكون الخلوقات عنده بمنزلة داخل ذلك في الفلك وانها اصغر عنده من الحصاة والفلفلة ونحو ذلك في يد احدنا، فإذا كانت الحصاة أو الفلفلة بل الدرهم والدينار، أو الكرة التي يلعب بها الصبيان، ونحو ذلك في يد الانسان أو تحته أو نحو ذلك، هل يتصور عاقل إذا استشعر علو الانسان على ذلك وإحاطته، هل يكون الانسان كالفلك؟ فالله - وله المثل الأعلى - اعظم من ان يظن ذلك به، وانما يظنه الذين لم يقدرُوا الله حق قدره (والارض . . .)

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وكذلك اعتقادهم الثاني وهو أن ما كان فلما كانه يصح التوجه إليه من الجهات الست خطأ باتفاق أهل العقل الذين يعلمون الهيئته وأهل العقل الذين يعلمون أن القصد الجازم يوجب فعل المقصود بحسب الامكان فقد تبين أن كل واحدة من المقدمتين خطأ في العقل والشرع ، وأنه لا يجوز أن تتوجه القلوب إليه إلا إلى العلو لا إلى غيره من الجهات على كل تقدير يفرض من التقديرات ، سواء كان العرش هو الفلك التاسع أو غيره ، وسواء كان محيطا بالفلك كروي الشكل أو كان فوقه من غير أن يكون كريا ، وسواء كان الخالق سبحانه محيطا بالخلق كالمحيط بها في قبضته أو كان فوقها من جهة العلو منا التي تلي رؤسنا دون الجهة الأخرى ،

فعلى أي تقدير فرض به كان كل من مقدمتي السؤال باطلة وكان الله تعالى إذا دعونه إنما ندعوه بقصد العلو دون غيره كما فطرنا على ذلك ، وبهذا يظهر الجواب عن السؤال من وجوه متعددة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

[يقول محمد رشيد آل رضا صاحب منار الاسلام]

رحم الله شيخ الاسلام ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، فوالله انه ما وصل اليه من علم أحد منهم ما وصل اليه من علمه في بيان حقيقة هذا الدين وحقيقة عقائده ، وموافقة العقل السليم وعلومه للنقل الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) بل لا نعرف احدا منهم اوتي مثل ما اوتي من الجمع بين علوم النقل وعلوم العقل بأنواعها مع الاستدلال والتحقيق ، دون المحاكاة والتقليد ، وغرضه من هذا الكتاب أو الفتوى تفنيد ما زعمه المتأولون للعرش بأنه الفلك التاسع ، من أن ذلك يعارض ما ثبت في الكتاب والسنة واقوال ائمة الامة من أن الله تعالى على عرشه فوق سماواته ، ومن أن الفطرة مؤيدة للشرعية في أن جهة العلو قبلة الدعاء ، فهو يثبت هذه الحقيقة على كل احتمال يمكن أن يكون عليه العرش ككونه كريا أو قبة أو غير ذلك ، ولكنه لم يتكلم في حقيقة شكل العرش بما كثر مما ورد في كلام الله تعالى وكلام رسوله (ص) لانه من عالم الغيب الذي يجب الايمان بما ورد فيه من النصوص بغير زيادة ولا نقصان ، ولا تاويل ولا تعطيل ، ولا تشبيه لله في علوه واستوائه عليه ولا تمثيل . (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

(تم كتاب العرش)

فهرس

كتاب عرشه الرحمن

استفتاء شيخ الاسلام في العرش وما قيل من كونه هو الفلك التاسع عند أهل الهيئة، وكيف يتفق ذلك مع صفة العلو لله تعالى والاستواء على العرش وما اتفقت عليه الأمة من أن السماء هي قبلة الدعاء وإن الله تعالى لا يتوجه إليه إلا في جهة العلو

﴿جواب شيخ الاسلام وهو في ثلاثة مقامات﴾

١٠٦ المقام الاول انه لم يثبت ان العرش هو الفلك التاسع، وإن الحوادث ناشئة عن حركة الافلاك

١١١ الاحاديث في صفة العرش المنافية لذلك كزنته واهتزازه وقوائمه

١١٤ تشبيه العرش بالقبة لا يفيد كونه فلكا

١١٦ ما جهل البشر من سنن الكون ولوهم أكثر مما يعلمون

١١٨ المقام الثاني، العالم العزى والسفلى في غاية الصغر بالنسبة الى الخالق تعالى

١٢٢ المقام الثالث في الكلام على العرش وكرسيه واحاطته

١٢٣ كرية الارض قطعية لا ظنية اسفها مركزها واعلاها سطحها

١٢٥ كون أعلى الفلك وكل جسم كروي يحيطه واسفله مركزه وغلط من توهم أن نصف الفلك تحت الارض

١٢٨ حديث «لو أدلى أحدكم بحبل الخ» وهناه على فرض صحته

١٣٣ اقتضاء الفطرة ما نأمر به الشريعة من توجه الداعي لله الى العلو

١٣٤ مخالفة الجهمية للفطرة والشرع في انكار علو الله عز وجل

١٣٦ موافقة ما جاءت به الرسل للعقل الصحيح من التوجه الى الله تعالى في جهة

العلو بغير تشبيه ولا تمثيل ولا حصر

١٣٧ ضلال من يشبه الله تعالى من خلقه في علوه واحاطته بخلقه وغير ذلك من صفاته في كتابه وسنة رسوله «ص»

١٣٨ كلمة صاحب المنار في هذا الكتاب

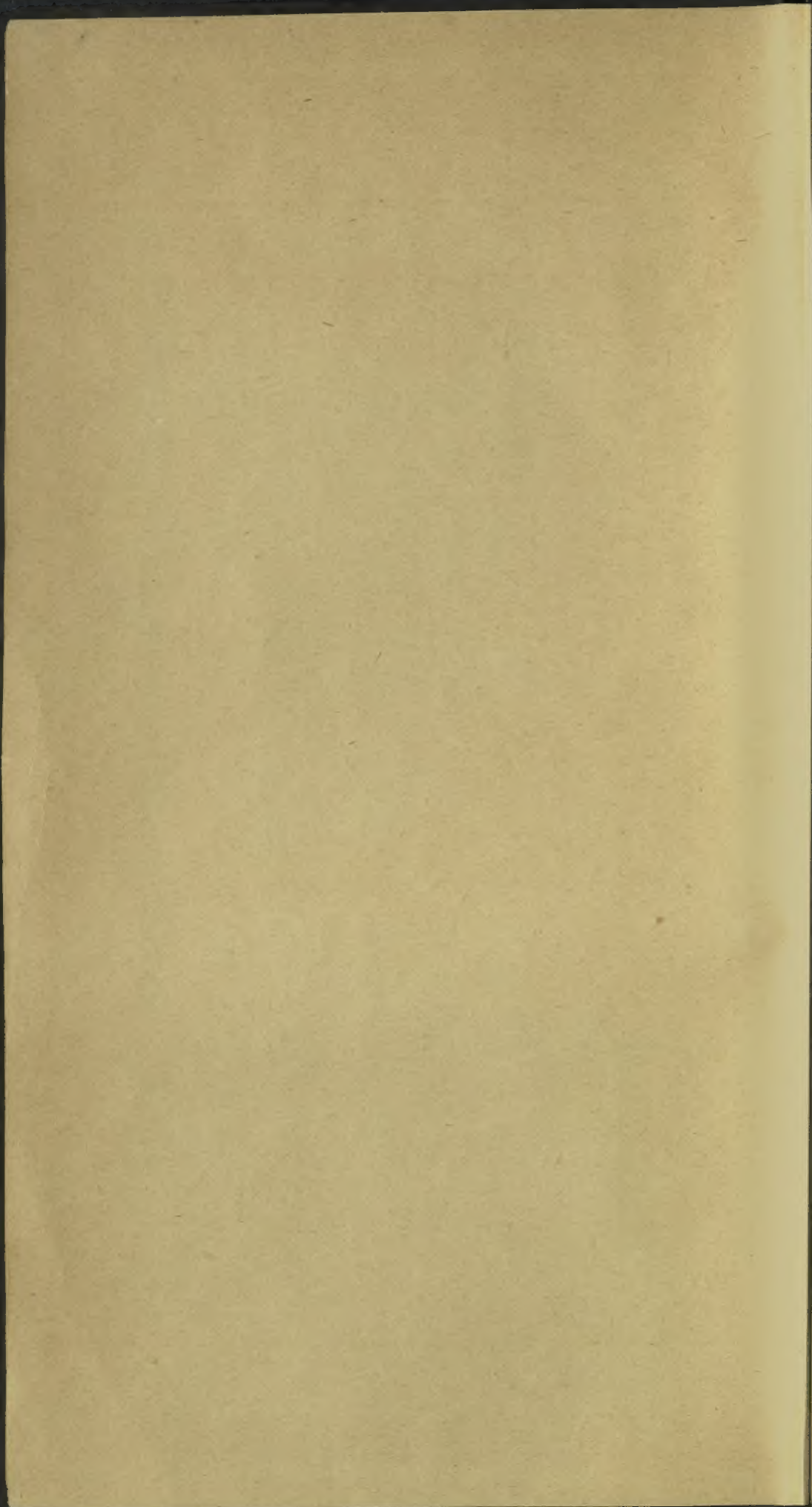
﴿تم الفهرس﴾

بيان

الخطأ الواقع في هذا الكتاب وصوابه

صواب	خطأ	ص	م
أوحينا اليك	أوحيناك	٢٥	٩
		(١) ٢٧	
الفقراء	الفقر	٢	٣٥
جمل ذاته	ذاته	»	»
على قولك	لانه قولك	٩	٣٧
متوفة	مقرفة	١٣	»
لاتقاء	لاتقاء	١٠	٤٢
أحدها	إعداها	١٣	٥٠
وهذا الكفر ماسبقه	وهذا ماسبقه	٥	٥٣
الادراك ادراك	الادراك	٣	٥٥
نسبته	لنسبته	٤	»
من	منه	٩	٥٦
من ذلك	لمن ذلك	١٨	٨٠
وجد لها	وجد روحه لها	٦٥	٨٣
لخطأ	لخطأ	١٩	٩٢
يذكرون	يذكرون	٧	٩٥

(١) وضمن رقم (٢) بالسطر ١٨ من هذه الصفحة سهواً ومحل السطر ١٩ بمدكلة. نشأته

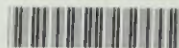


A circular library stamp in green ink. The outer ring contains the text "JAFET LIB." at the top and "Circulation Dept 3" at the bottom. In the center, the date "16 MAR 2001" is stamped, flanked by two small asterisks. A diagonal line is drawn across the center of the stamp.

CA

ابن تيمية الحراني، تقى الدين احمد بن
حقيقة مذهب الاتحاديين او وحدة الوجود

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01003331

American University of Beirut



CA

212

I13hA

V.4

C.1

General Library

CA
212
I13hA
V.4:C.I